حياة علمية لم تعرف "جوانب اخرى"

عرض الآثار العلمية للنورسي «رسائل النور»

توفى النورسى مخلفاً تراثاً علمياً مهماً يزيد على ثلاثين ومائة رسالة ، هي أساس فكره ودعوته . ألف أغلبها فى المرحلة الثانية من حياته[1] ، وضم إليها أغلب ما ألفه في المرحلة الأولى ، وسماها جميعاً (رسائل النور).

وهذه الرسائل – كما يبين النورسي – تتوزع على أربع مجموعات رئيسية عمدتها المجموعة الأولى المسماة : (الكلمات) ؛ إذ منها تنبثق المجموعة الثانية : (المكتوبات) ، التي بدورها تتشعب عنها المجموعة الثالثة : (اللمعات) ، ثم المجموعة الرابعة : (الشعاعات) وهى متفرعة عن سابقتها .

(1) وهى مرحلة سعيد الجديد التى تبدأ من سنة(1926م) ، تاريخ نفيه إلى(بارلا) .

وألف النورسى بالإضافة إلى هاته المجموعات الأربعة الرئيسية رسائل أخرى مستقلة منها : "المدخل إلى النور" ، و"مفتاح لعالم النور" وهي آخر رسالة كتبت ، و"المحاكمات" ، و "ترجمة حياة" ، و "سنوحات" ، و "مناظرات" ، و"ديوان حربي عرفي" .

والملاحظ أن الرسائل تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الحجم ، فهناك رسائل هي بضع صفحات فقط ، وهناك كتاب كامل يُعد رسالة واحدة (1) . وأحاول فيما يلي تتبع مؤلفات بديع الزمان مع عرض موجز لمحتوياتها :

1 / سوزلر (الكلمات) :(2)

هو كتاب يضم ثلاثاً وثلاثين رسالة (كلمة) ، بدأ بتأليفها سنة (1926م) فى منفاه بـ (بارلا) . كتبها باللغة التركية وترجمها إلى العربية إحسان قاسم الصالحي(3) . .

– الكلمة الأولى : وتبين ما في البسملة من قوة وبركة ، وأن الموجودات تذكرها بلسان الحال .

– الكلمة الثانية : تفسر قوله تعالى : {الَّذِينَ يُؤمنُونَ بِالغَيبِ} [البقرة : 3] ، مع بيان أن الإيمان سعادة ونعمة .

– الكلمة الثالثة : تفسر قوله تعالى : {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم} [البقرة : 21] ؛ فتبين أن العبادة سعادة عظمى ، والفسق خسارة جسيمة .

– الكلمة الرابعة : تفسر قوله تعالى : {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا} [النساء : 103] . .

– الكلمة الخامسة : تبين معنى التقوى ، وتوضح أن وظيفة الإنسان الحقة هي العبودية لله تعالى واجتناب الكبائر .

– الكلمة السادسة : توضح أن بيع النفس والمال لله تعالى تجارة رابحة بخمسة أرباح ، وخلافه خسارة فادحة بخمسة خسائر .

– الكلمة السابعة : توضح حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر ، وحقيقة

---

(1) مثال ذلك : الرسالة الأولى من مجموعة اللمعات تتكون من أربع صفحات فقط ، والرسالة الثانية من المجموعة نفسها تتكون من عشر صفحات ، على حين أن كتاب «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» الذي يتكون من اثنتين وأربعين ومائتي صفحة رسالة واحدة .

(2) انظر : بديع الزمان سعيد النورسي : «الكلمات» ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

(3) إحسان قاسم الصالحي : ولد بالعراق ، مؤلف ومترجم ، فى الستين من عمره ، اشتغل فترة من الزمن بالتدريس في العراق ، ثم انتقل إلى تركيا ، واهتم بمؤلفات بديع الزمان حيث ترجم أغلبها إلى اللغة العربية وحقق ماكتب منها بالعربية وهو يدير حالياً مؤسسة الثقافة والعلوم باستانبول ، التي تهتم بفكر النورسي وتقوم بمهمة نشره عالمياً .

الموت التي لها وجه جميل للمؤمن ، و وجه مزعج للكافر .

– الكلمة الثامنة : تكشف حقيقة الدنيا و دور الإنسان فيها ، وقيمة الدين لديه في هذه الدنيا .

– الكلمة التاسعة : تبين معنى الصلاة ، وحكمة تخصيصها بالأوقات الخمسة المعلومة .

– الكلمة العاشرة : وهي رسالة (الحشر) ، وتوضح مسألة الحشر على ضوء تفسير قوله تعالى : {فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها} [الروم : 50] ؛ إذ يوضح النورسي دلائل الحشر في اثنتي عشرة صورة ، ضمن حكاية تمثيلية مع مقدمة تضم ثلاث إشارات إلى أن الكون لابد له من مبدع ، وإلى وظائف النبوة ، وإلى أن العالم الفاني دليل على الباقي ، فهذه الرسالة تثبت حقيقة الحشر والبعث بشكل مفصل .

– الكلمة الحادية عشرة : تفسر سورة (الشمس) ، وتوضح أسرار حكمة العالم ، ولغز خلق الإنسان ، ورموز حقيقة الصلاة .

– الكلمة الثانية عشرة : تتضمن موازنة إجمالية بين حكمة القرآن الكريم المقدسة ، وحكمة الفلسفة ، ويثبت فيها رجحان القرآن الكريم ، وأفضليته على سائر الكلام والأقوال ، وعجز الفلسفة .

– الكلمة الثالثة عشرة : وهي تنقسم قسمين :

1 –القسم الأول : يبين ثروة حكمة القرآن وغناها ، وفقر العلوم الفلسفية وعجزها ، مع بيان تنزه القرآن عن الشعر ، وكيفية تذوق الإعجاز .

2– القسم الثاني : يرشد الإنسان –ولا سيما الشباب– إلى كيفية إنقاذ آخرته .

– الكلمة الرابعة عشرة : يفسر فيه بعض الآيات التى يستبعد معانيها الماديون وضعفاء الإيمان ، مثل قوله تعالى : {خلق السموات والأرض في ستة أيام} [الأعراف : 54] ، ويختم هذه الرسالة بتذكير الإنسان المستغرق في المشاكل الدنيوية لإيقاظه من غفلته .

– الكلمة الخامسة عشرة : وفيها تفسير لقوله تعالى : {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين} [الملك : 5] ، حيث يبين مبارزة الملائكة للشياطين ، ويوضح أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وهو الذي يلزم الشياطين ويسكتهم .

– الكلمة السادسة عشرة : تتضمن تفسيراً لقوله تعالى : {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون} [يس : 82] ، ويثبت فيها وحدانية الله تعالى وتنزهه تعالى عن المكان .

– الكلمة السابعة عشرة : يبين فيها بعض أسرار الحياة والموت ، ويفسر بعض الآيات في هذا المقام ، ويختم هذه الرسالة بمناجاة وتضرعات ، تزهد في الدنيا ، وترغب في الآخرة .

– الكلمة الثامنة عشرة : تنقسم إلى قسمين أو مقامين ، كتب الأول منهما فقط ، وهو يضم ثلاث نقاط :

❖ الأولى : يوجه فيها العتاب إلى نفسه – الأمارة بالسوء – ، كي يكسر فخرها وعجبها ، على ضوء قوله تعالى : {لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم}. [آل عمران : 188] .

❖ الثانية : يوضح فيها سراً من أسرار الآية الكريمة : {أحسن كل شيء خلقه} [السجدة : 8] . .

❖ الثالثة : يبين فيها أن حسن الصنعة دليل على نبوة محمد ε .

– الكلمة التاسعة عشرة : وهى تثبت الرسالة الأحمدية بأربعة عشر وجهاً .

– الكلمة العشرون : وتنقسم إلى قسمين :

❖ القسم الأول : فيه تفسير لآيات من سورة البقرة متضمنة لبعض الحوادث الجزئية وبعض المعجزات .

❖ القسم الثاني : وفيه تفسير لما في هذه المعجزات من حكم .

– الكلمة الحادية والعشرون : وهى ذات مقامين :

– المقام الأول : في بيان أهمية الصلاة وفوائدها ، وحث النفس المتكاسلة عليها .

– المقام الثاني : في بيان علة الوسوسة وطرق علاجها .

– الكلمة الثانية والعشرون : يوضح فيها النورسي حقيقة التوحيد باثنى عشر برهاناً ، كما يعرض اثنتي عشرة "لمعة" حول التوحيد الحقيقي .

– الكلمة الثالثة والعشرون : يفسر فيها قوله تعالى : {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} [التين : 4] ، مبيناً محاسن الإيمان وتأثيره في ترقي الإنسان روحياً ومادياً مع بيان سعادة الإنسان وشقائه .

– الكلمة الرابعة والعشرون : يبرز فيها على ضوء قوله تعالى : {الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى} تجلى أسماء الله الحسنى على العالم ، كما يقدم أصولاً في فهم الأحاديث النبوية الشريفة .

– الكلمة الخامسة والعشرون : وهي رسالة : (المعجزات القرآنية) تقع في ما يقارب من عشرين ومائة صفحة ، وتبحث في بيان إعجاز القرآن الكريم ، وأنه كلام الله تعالى وتعرض بعض وجوه الإعجاز التي أعدها النورسي أربعين وجهاً .

– الكلمة السادسة والعشرون : وهي رسالة (القدر) ، تتضمن تفسيراً لقوله تعالى : {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم} [الحجر : 21] ، ويبين النورسي هنا موضوع القدر بأدلة عقلية ، وأن خلق الشر والخير هو من الله تعالى .

– الكلمة السابعة والعشرون : بعنوان : (رسالة الاجتهاد) ، وهي تناقش موضوع الاجتهاد مبينة أن بابه مفتوح ، لكن توجد في الوقت الحاضر ستة موانع تحول دونه ، وختمت الرسالة ببيان حكمة تبدل الشرائع وتعدد المذاهب ، وفضل الصحابة وعلو مرتبتهم .

– الكلمة الثامنة والعشرون : يفسر فيها قوله تعالى : {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة

وهم فيها خالدون} [البقرة : 25] فيتحدث عن الجنة ولطائفها من خلال أسئلة وأجوبة حول بعض أحوال الجنة التي تتعرض إلى النقد .

– الكلمة التاسعة والعشرون : توضح قضايا غيبية : بقاء الروح والملائكة ، والحشر .

– الكلمة الثلاثون : تبحث في الأنانية الإنسانية ونتائجها تحت ضوء قوله تعالى : {قد أفلح من زكاها} [الشمس : 9] ، كما تبحث في حركة (الذرة) ووظائفها وترد على الماديين القائلين بالصدفة .

– الكلمة الحادية والثلاثون : تفسر قوله تعالى : {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} [الإسراء : 1] ، فتبين حقيقة المعراج وحكمته وثمراته ، وفى الختام توضح معجزة انشقاق القمر .

– الكلمة الثانية والثلاثون : تتضمن ثلاث قضايا :

أ / القضية الأولى : بيان وحدانيته تعالى وإزالة الأوهام والشبه حولها .

ب/ القضية الثانية : إزالة بعض الاعتراضات على الأحدية والواحدية .

ج/ القضية الثالثة : استناد كل شيء إلى اسم من الأسماء الحسنى والتدرج في إدراج تلك الأسماء مع بيان نتائج الحياة الدنيا لأهل الضلالة ، ولأهل الهداية ، والفرق بينهما .

-الكلمة الثالثة والثلاثون : تتضمن ثلاثة وثلاثين جزءاً سمى كل جزء منها (نافذة) ، نظر عبرها إلى التوحيد ، وكل نافذة عبارة عن تفسير آية أو أكثر توضح تجليات أسماء الله الحسنى في الكون .

❖ ❖ جمعت كل الرسائل السابقة في كتاب واحد بعنوان "الكلمات" ، وترجم إلى اللغة العربية في تسعمائة صفحة وتوجد ترجمتان الأولى للأستاذ إحسان قاسم الصالحي ، والثانية للملا محمد زاهد الملا زكردي .

2 / مكتوبات "المكتوبات"(1)

تتكون مجموعة (المكتوبات) من ثلاث وثلاثين رسالة أو (مكتوباً) ، ألفها النورسي في المرحلة الثانية من حياته ، ومحتوياتها هي كالتالي :

– المكتوب الأول : يتناول البحث في قضايا غيبية كالموت والحياة وجهنم ...

– المكتوب الثاني : يوضح فيه النورسي أسباب استغنائه عن الناس ، وعدم قبوله هداياهم ، وهي قاعدة سار عليها طول حياته .

(1) انظر : بديع الزمان سعيد النورسي : " المكتوبات" ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

– المكتوب الثالث : يتضمن تأملات في آيات قرآنية ، ويبين نكتاً إيمانية تتمثل في صعوبة طريق الضلال وسهولة طريق التوحيد .

– المكتوب الرابع : يبين فيه بديع الزمان بعض خواطره ومشاعره أثناء تأمله في اسم «الله الحكيم» وهو منزو في منزل على شجرة صنوبر في منفاه (بارلا) .

– المكتوب الخامس : وفيه مقارنة بين طريق التصوف وطريق الحقيقة ، ويذهب النورسي إلى أن انكشاف مسألة واحدة من حقائق الإيمان أفضل من آلاف الأذواق والمواجيد والكرامات .

– المكتوب السادس : يبين مشاعر الغربة التي كان يعيشها النورسي أثناء نفيه بمدينة (إسبارطة) .

– المكتوب السابع : في حكمة زواج رسول الله ε بزينب رضي الله عنها ، والرد على المنتقدين .

– المكتوب الثامن : في بيان سر من أسرار اسمي {الرحمن الرحيم} وأن الشفقة تسمو على المحبة كما في قصة سيدنا يوسف مع والده يعقوب عليهما السلام .

– المكتوب التاسع : يوضح الفرق بين الإكرام الإلهي والكرامة والاستدراج ، ويبحث في الفرق بين مدلولى الإسلام والإيمان .

– المكتوب العاشر : يبحث في الفرق بين تعبيرى (الإمام المبين) و (الكتاب المبين) ، ويسأل عن ميدان الحشر .

المكتوب الحادي عشر : يتضمن أربعة مباحث :

أ / تفسير قوله تعالى : {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً} [النساء : 76] مع بيان علاج الوسوسة .

ب/ تأمل في مناظر الطبيعة (بارلا) .

جـ/ تفسير قوله تعالى : {للذكر مثل حظ الأنثيين} [النساء : 11] ، مع مقارنة بين القانون الإسلامي والقانون الغربي في موضوع الميراث .

د/ تفسير قوله تعالى : {فلأمه السدس} [النساء : 11] .

– المكتوب الثاني عشر : وفيه جواب عن ثلاثة أسئلة :

أ / عن حكمة إخراج آدم عليه السلام من الجنة . .

ب/ عن حكمة خلق الشياطين والشرور ، وحكمة بعثة الأنبياء .

جـ/ عن وجه العدالة في نزول المصائب .

– المكتوب الثالث عشر : ويجيب فيه بديع الزمان عن أسئلة وجهت إليه

حول حاله ومعاناته ، وظلم أهل الدنيا له ، وسبب انصرافه عن السياسة .

– المكتوب الرابع عشر : ذكر رقمه في الكتاب ، لكن النورسي يفيد بأنه لم يؤلفه .

– المكتوب الخامس عشر : يتضمن جواباً عن عدة أسئلة منها :

أ / لماذا لم يكشف الصحابة المفسدين ومثيرى الفتنة أثناء الفتنة الكبرى؟

ب/ الحكمة من استشهاد ثلاثة من الخلفاء الراشدين؟

جـ/ ماحقيقة الوقائع في عهد ـ علي ـ رضى الله عنه؟

د / ما الحكمة في المصيبة التي حلت بأهل البيت؟

هـ/ ما الحكمة من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان؟

و / هل تشمل آية {كل شئ هالك إلا وجهه} [القصص : 88] الآخرة والجنة والنار؟ -المكتوب السادس عشر : يوضح النورسي خمس نقاط في ضوء قوله تعالى : {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} [آل عمران : 173] .

أ / عن سبب انسحابه من ميدان السياسة .

ب/ عن تجنبه الشديد للسياسة .

جـ/ عن استغراب أصدقائه لصبره على المصائب .

د / عن مجموعة أسئلة وجهت إليه حول مصادر عيشه وأسباب رفضه لمسلك أهل الدنيا .

– المكتوب السابع عشر : هو رسالة تعزية في وفاة طفل لأحد طلابه .

– المكتوب الثامن عشر : يتناول مسألة "وحدة الوجود" ، ويبين أن ما يبحثه مشاهير الصوفية . مثل : محيى الدين بن عربي لا يرى في عالم الشهادة ، وأن مسلك الصحابة وأهل الصحو أسمى من وحدة الوجود وأسلم . ثم يبين بعض أسرار الكون .

– المكتوب التاسع عشر : في بيان أنواع معجزات الرسول ε ، إذ يبحث عن أكثر من ثلاثمائة معجزة مع حكمها .

❖ في الذيل الأول لهذه الرسالة يذكر النورسي جوانب من شخصية الرسول ε ويفسر بعض آيات من سورة (يس) ، مع ذكر معجزة شق القمر .

❖ أما في الذيل الثاني فيذكر سبب اختصاص الرسول عليه الصلاة السلام بالمعراج .

– المكتوب العشرون : يتضمن حديثاً مسهباً عن أهمية التوحيد وإثباته من

خلال شرحه لبعض أذكار الرسول ε ، منها : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ، ويخلص في نهاية الرسالة إلى أن في التوحيد سهولة مطلقة ، كما أن في الشرك صعوبة مطلقة .

– المكتوب الحادي والعشرون : يبين فيه وجوب بر الوالدين ورعاية حقوق الشيوخ والعجزة في ضوء قوله تعالى : {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغَنَّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ، ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً} [الإسراء : 23–24–25] .

– المكتوب الثاني والعشرون : وهو مبحثان :

❖ المبحث الأول : يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة واجتناب العداوة والبغضاء والتحاسد ، في ضوء قوله تعالى : {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} [الحجرات : 10] ، وقوله تعالى : {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} [فصلت : 34] وقوله أيضاً : {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس} [آل عمران : 134] .

❖ المبحث الثاني : يبين مدى ضرر الحرص والطمع على الحياة الإسلامية .

وفى ختام الرسالة ذيل يخص الغيبة والتحذير منها .

– المكتوب الثالث والعشرون : يتضمن جواباً عن سبعة أسئلة مختلفة ، منها :

أ / أيهما أفضل المجتهدون أم أقطاب الطرق؟ .

ب/ ما حكمة المعية في قوله تعالى : {إن الله مع الصابرين} [البقرة : 153] ؟

جـ/ كيف كان الرسول ε يتعبد قبل البعثة؟

د / ما معنى الحديث : «خير شبابكم من تشبه بكهولكم . . .»؟

– المكتوب الرابع والعشرون : في أن مقتضيات اسم الرحيم والحكيم والودود ليست متناقضة مع ما يجري في الكائنات من موت ومصائب . وللرسالة ذيلان يبحث الأول في الدعاء وأسراره ، ويبين أنه سر العبادة وروحها ، والثاني في المعراج النبوي وشخص الرسول عليه الصلاة والسلام . .

– المكتوب الخامس والعشرون : لم يؤلف .

– المكتوب السادس والعشرون : وهو في أربعة مباحث :

أ / في تفسير قوله تعالى : {وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه

هو السميع العليم} [فصلت : 36] حيث يرد على الشيطان وحزبه بحجة القرآن من خلال محاكمة عقلية حيادية .

ب/ المبحث الثاني : يقول في مقدمته : "كتب هذا المبحث بناء على الحيرة الناشئة لدى الذين يخدمونني دائماً"(1) ، ويبين فيه أن الإنسان قد يحمل شخصيات عدة ، وتلك الشخصيات ذات أخلاق متمايزة متباينة بسبب تعدد وظائفه واختلافها .

جـ/ المبحث الثالث : وفيه سبع مسائل حول القومية والحمية الدينية .

د / المبحث الرابع : وفيه عشر مسائل ، تتضمن تفسير لفظ{رب العالمين} ، وتوضيح بعض مقولات محيي الدين بن عربي ، وتحليل مفاهيم في الإيمان وعلم الكلام والتصوف .

– المكتوب السابع والعشرون : هو كتاب الملاحق ، ويحتوى على مراسلات بديع الزمان وطلابه ويتكون من ثلاثة أجزاء كبيرة ، كل جزء يضم تجربة مرحلة من مراحل حياة النورسي ودعوته :

– ملحق بارلا (1927 م – 1935 م)

– ملحق قسطمونى (1936م – 1944م)

– ملحق اميرداغ (1) (1944م – 1947م) : وملحق أميرداغ (2) (1948م حتى وفاته) .

ضمت هذه الأجزاء في كتاب واحد ، سُمي "الملاحق في فقه دعوة النور" ، وطابعها العام توجيهي إرشادي يبين أهمية رسائل النور ، ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر ، وتتضمن مراسلات ودية يعبر فيها الطلاب عن مدى تأثرهم بالرسائل واستفادتهم منها ، كما تتضمن خواطر وردت على قلب النورسي . تشكلت هذه الملاحق الثلاثة تدريجياً ، حيث ضمت المراسلات المتبادلة بعضها إلى بعض ، ثم عُرضت على النورسي ، فاختار ما يصلح للنشر منها . ونظراً لأهميتها فقد وضعها ، ضمن رسائل النور الإيمانية ، وجعلها المكتوب السابع والعشرين من مجموعة المكتوبات(2) .

– المكتوب الثامن والعشرون : تناول ثماني مسائل ، منها : تعبير الرؤيا ، وسر تأثير رسائل النور ، ودين أجداد النبي ε ، وقضايا غيبية نحو الحشر . . .

– المكتوب التاسع والعشرون : يتضمن تسعة أقسام ، منها :

❖ القسم الأول : في دراسة تسعة مباحث قرآنية ، منها : طريقة معرفة حقائق القرآن الكريم والقسم في القرآن ، والحروف المقطعة ، واستحالة ترجمة

(1) بديع الزمان سعيد النورسي : . المكتوبات ، ترجمة إحسان الصالحي ، ص 410 .

(2) انظر : بديع الزمان : الملاحق في فقه دعوة النور . ترجمة إحسان الصالحي .

القرآن الكريم ، وأنواع الحقوق في الشريعة . .

❖ القسم الثاني : في حكم صيام رمضان وفوائده .

❖ القسم الثالث : في فهم بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم .

❖ القسم الرابع : في التوافقات القرآنية .

❖ القسم الخامس : في بيان بعض أسرار سورة النور .

❖ القسم السادس : في توجيهات لحملة القرآن الكريم ، وتحذيرهم من دسائس الشيطان وهي حب الجاه والشهرة ، والشعور بالخوف والطمع ، وإثارة النعرة القومية ، والأنانية والغرور ، وحب الراحة وتسنم الوظائف ، وفي ذيل هذا القسم توجد رسالة موجهة إلى المسؤولين في الحكومة .

❖ القسم السابع : وفيه سبع إشارات في الرد على المفتونين بالحضارة الغربية ، وتوضيح أسباب تغيير سعيد القديم لمنهجه .

❖ القسم الثامن : هو ثماني رسائل صغيرة بعنوان "الرموز الثمانية" ، لكن النورسي لم يدرجه في كتاب (المكتوبات) ، ووعد بكتابته في رسالة مستقلة .

❖ القسم التاسع : يشمل تسعة مباحث تخص طرق الولاية والتصوف ومزالقها مع بيان العلاقة بين الشريعة والطريقة ، ثم في ذيل هذا القسم يوضح النورسي أقرب طريق إلى الله ، وهو طريق : العجز ، والفقر ، والشفقة ، والتفكر .

– المكتوب الثلاثون : رسالة كبيرة في كتاب مستقل بعنوان : "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" ألفه النورسي باللغة العربية ، في المرحلة الأولى من حياته خلال مشاركته في الحرب العالمية الأولى . وسيأتي الحديث عنه في المبحث المقبل .

– المكتوب الحادي والثلاثون : هو إحدى وثلاثون رسالة تشكل المجموعة الثالثة من كليات رسائل النور (اللمعات) ، فهذه المجموعة منبثقة عن المجموعة الثانية (المكتوبات) والتي بدورها تنبثق عن (الكلمات) .

– المكتوب الثاني والثلاثون : رسالة بعنوان (اللوامع) ، وهي الرسالة ذاتها المنشورة في ختام (الكلمات) . .

– المكتوب الثالث والثلاثون : رسالة بعنوان (النوافذ) ، وهي الرسالة نفسها الموجودة ضمن (الكلمات) .

3 / اللمعات[1]:

يشتمل هذا الكتاب على ثلاث وثلاثين رسالة أو (لمعة) ، ويعد من أهم الكتب في سلسلة كليات رسائل النور .

– اللمعة الأولى : في تفسير قوله تعالى : {فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} [الأنبياء : 87] .

مع بيان قصة يونس عليه السلام ومناجاته التى هي من أعظم أنواع المناجاة .

– اللمعة الثانية : في مناجاة أيوب عليه السلام على ضوء قوله تعالى : {وأيوب إذ نادى في الظلمات أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين} [الأنبياء : 83] ، مع بيان الحاجة إلى الصبر على المصائب والبلاء ، وأن المصيبة الحقيقية هي التي تصيب الدين .

– اللمعة الثالثة : تتضمن تفسيراً لقوله تعالى : {كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون} [القصص : 88] في ضوء جملة "يا باقي أنت الباقي" ، وبيان ما فيها من حقائق ، مع عقد مقارنة بين حسي البقاء والفناء في الإنسان .

– اللمعة الرابعة : رسالة بعنوان "منهاج السنة" ، وتضمنت تفسيرا "لقوله تعالى : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} [التوبة : 128–129] وقوله تعالى : {قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى} [الشورى : 23] . وفيها حديث عن "مسألة الإمامة" ، وبيان الخلاف بين أهل السنة والشيعة مع محاولة التوفيق بينهما ، وذلك بالنهي عن الإفراط والتفريط .

– اللمعة الخامسة : في بيان حقيقة الآية الكريمة : {حسبنا الله ونعم الوكيل} . وقد أجل النورسي كتابتها ؛ لأنه يعدها ذات علاقة بالتفكر والذكر أكثر من علاقتها بالعلم والحقيقة ، وأدمجها في اللمعة التاسعة والعشرين العربية[2] .

– اللمعة السادسة : في بيان حقيقة{لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم} ، وقد وضعها النورسي أيضا" ضمن اللمعة التاسعة والعشرين للسبب السابق ذكره .

– اللمعة السابعة : في بيان وجه من وجوه الإعجاز وهو الإخبار بالغيب في ختام سورة الفتح من قوله تعالى : {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق} إلى قوله تعالى : {وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً}

---

(1) انظر : بديع الزمان سعيد النورسي : . "اللمعات" ، ترجمة : إحسان قاسم .

(2) انظر : بديع الزمان سعيد النورسي : "اللمعات " ، ترجمة : إحسان الصالحي . ص : 39 .

[الفتح : 27-28-29] .

– اللمعة الثامنة : فيها ملاحظة بأنها لم تنشر ، وسوف تنشر ضمن مجموعة أخرى .

– اللمعة التاسعة : في الإجابة عن أسئلة متفرقة ، منها : بيان النقائص الدقيقة في (وحدة الوجود) وماهية علم (الجفر) ، وادعاء أن لعيسى عليه السلام والداً ، وبيان علة الأوامر الشرعية ونواهيها .

– اللمعة العاشرة : بعنوان "لطمات الرأفة وصفعات الرحمة" ، وفيها تفسير لسر من أسرار قوله تعالى : {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد} [آل عمران : 30] ، وذلك ببيان مالا قاه العاملون في خدمة القرآن الكريم بسبب أخطاء ارتكبوها – بحكم جبلتهم البشرية – أثناء خدمتهم .

– اللمعة الحادية عشرة : بعنوان "مرقاة السنة وترياق مرض البدعة" ، وفيها يبين النورسي لزوم اتباع السنة خصوصاً في زماننا هذا ، وأهميتها ، ومراتبها ، وذلك في ضوء آيات قرآنية(1) .

– اللمعة الثانية عشرة : فيها بيان لمسألتين :

❖ الأولى : إن الرزق بيد الله تعالى ، ولا أحد يموت من عدم الرزق .

❖ الثانية : في إثبات أن الأرض ذات سبع طبقات كالسموات في ضوء قوله تعالى : {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن} [الطلاق : 12] .

– اللمعة الثالثة عشرة : بعنوان : "حكمة الاستعاذة" ، وفيها تفسير لقوله تعالى : {وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون} [المؤمنون : 97-98] .

يبين البحث حكمة الاستعاذة من الشيطان وخلقه ، وعلاج وساوسه ، كما يتناول مباحث عقدية أخرى .

– اللمعة الرابعة عشرة : بيان لمسألتين :

❖ الأولى : قيام الأرض على الحوت والثور ، مع توضيح كيفية التعامل مع الإسرائيليات .

❖ الثانية : في إبراز ستة أسرار من البسملة .

– اللمعة الخامسة عشرة : وهي فهرست لما ألف من رسائل : الكلمات ،

---

(1) الآيتان : 128 . 129 / آل عمران .

والمكتوبات واللمعات إلى غاية اللمعة الرابعة عشرة .

– اللمعة السادسة عشرة : فيها إجابة عن أسئلة مختلفة ، منها :

❖ كيف يخبر أهل الطرق الصوفية عما هو خلاف الواقع؟

❖ لم لا يهاجم النورسي سياسة الحكومة؟

❖ وما المعنى الظاهري لحقيقة قوله تعالى : {تغرب في عين حمئة} [الكهف : 86]؟

❖ وموقع سد ذي القرنين وشخصية يأجوج ومأجوج؟

– اللمعة السابعة عشرة : هي مذكرات في المعرفة الإلهية ، تتكون من خمس عشرة مذكرة في تربية النفس ، والحد من ارتباطها بالدنيا الفانية ، وفي نظرته لأوروبا وحضارتها ، والمقارنة بين دعاة أوروبا ودعاة القرآن الكريم ، وتوضيح بعض الحقائق الإيمانية .

– اللمعة الثامنة عشرة : أفيد بأن هذه الرسالة ستدرج ضمن مجموعة أخرى .

– اللمعة التاسعة عشرة : بعنوان "رسالة الاقتصاد" ويفسر فيها النورسي قوله تعالى : {كلوا واشربوا ولاتسرفوا} [الأعراف : 31] ، مبيناً أن الاقتصاد شكر معنوي ينسجم مع الحكمة الإلهية ، وهو سبب العزة والبركة واللذة ، في حين أن الإسراف استخفاف بالنعمة ومناقض للحكمة الإلهية .

– اللمعة العشرون : بعنوان " الإخلاص" .

ويفسر فيها قوله تعالى : {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ✎ ألا لله الدين الخالص} [الزمر : 2–3] ، وقول الرسول ε : «هلك الناس إلا العاملون ، وهلك العاملون إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم» .

ويبين أهمية الإخلاص في الإسلام داعياً إلى وحدة المسلمين بمقتضاه .

– اللمعة الحادية والعشرون : في الإخلاص أيضاً ، وهي تبين أهميته ، ودساتيره ، ووسائل كسبه ، وموانعه ، في ضوء قوله تعالى :

❖ {ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} [الأنفال : 46] .

❖ {وقوموا لله قانتين} [البقرة : 238] .

❖ {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} [الشمس : 9–10] .

❖ {ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا} [البقرة : 41] .

– اللمعة الثانية والعشرون : تتضمن رد النورسي على الهجمات التي يشنها عليه منتقدوه نتيجة لابتعاده عن أهل الدنيا وأنظمتهم ، وبيانه لبعض

الحكم المستلهمة من الآيات القرآنية .

– اللمعة الثالثة والعشرون : بعنوان "رسالة الطبيعة" .

يرفض فيها النورسي مذهب الماديين الذين يؤمنون بالطبيعة ، ويبين مدى بعد مسلكهم عن موازين العقل ومدى سماجته وخرافيته ، ويبدأ رسالته بتفسير قوله تعالى : {قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض} [إبراهيم : 10] ، موضحاً السبب الذي دعاه إلى تأليفها ، وهو اتساع موجة العداء للدين ، وانتشار الفكر الفلسفي المادي ، ويخلص إلى أن الطبيعة هي مجموعة قوانين محكومة لا حاكمة .

– اللمعة الرابعة والعشرون : بعنوان : "رسالة الحجاب" ، ويفتتحها بقوله تعالى : {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن} [الأحزاب : 59] .

ويشرع في تفسيرها قائلاً : «هذه الآية الكريمة تأمر بالحجاب ، بينما تذهب المدنية الزائفة إلى خلاف هذا الحكم الرباني ، فلا ترى الحجاب أمراً فطرياً للنساء ، بل تعده أسراً وقيداً لهن»(1) .

ثم يبين أن الحجاب أمر فطري للنساء ، وأن التبرج يناقض الفطرة ، ويقدم الأسس الأخلاقية السليمة التي تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتحفظ نظام الأسرة . وبسبب هذه الرسالة ألقت السلطات القبض عليه ، وحكمت عليه بالسجن لمدة واحد وعشرين شهراً(2) .

– اللمعة الخامسة والعشرون : بعنوان : (رسالة المرضى) ، وهي تبين حكمة المرض المادية والمعنوية وعلاجه ، وقد احتوت على خمسة وعشرين دواء (أو حكمة) .

– اللمعة السادسة والعشرون : بعنوان : (رسالة الشيوخ) .

يفسر فيها قوله تعالى : {كهيعص ✎ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ✎ إذ نادى ربه نداء خفيا ✎ قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا} [مريم : 1–4] ، مبينا أهمية الإيمان في الشيخوخة ، ودوره في كشف جوانب مشرقة من هذه المرحلة في عمر الإنسان .

– اللمعة السابعة والعشرون : هي دفاع النورسي أمام محكمة (إسكي شهر) ، ذكر أنها ستنشر ضمن مجموعة (سيرة ذاتية) .

– اللمعة الثامنة والعشرون : وهي فقرات مختصرة كتبها النورسي لتسلية إخوانه الذين كانوا معه في سجن (إسكي شهر) ، وقد كان ممنوعاً عن الكلام مع

---

(1) بديع الزمان النورسي : اللمعات . ترجمة إحسان قاسم . ص : 299 .

(2) انظر : الفصل الأول .

الآخرين والاختلاط بهم ، وتشمل : محاورة حول الذباب ، وخواص الحروف القرآنية ، ومزاياها وتأثيراتها . . .

– اللمعة التاسعة والعشرون : بعنوان "رسالة التفكر الإيماني الرفيع والمعرفة التوحيدية السامية" .

وهي خلاصة تأمل وتفكر في الآيات القرآنية التي تدعو إلى انتهاج مسلك التفكير وتحض عليه ، كقوله تعالى : {لعلكم تتفكرون} ، {أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى} [الروم : 8] .

وقد جعلها في خمسة أبواب :

– الباب الأول : في شرح سبحان الله .

– الباب الثاني : في شرح الحمد لله .

– الباب الثالث : في شرح الله أكبر .

– الباب الرابع : في شرح لا إله إلا الله .

– الباب الخامس : في شرح لاحول ولا قوة إلا بالله .

– اللمعة الثلاثون : يقول النورسي في مقدمة هذه الرسالة : «هذا الدرس القيم ثمرة من ثمار سجن «إسكي شهر» وحصيلة مدرستها اليوسفية»(1) . وهي تضم نكتا دقيقة لستة من الأسماء الحسنى .

– اللمعة الحادية والثلاثون : انقسمت هذه الرسالة إلى خمس عشرة رسالة ، وكونت المجموعة الرابعة من كليات رسائل النور المسماة : (الشعاعات) ، وقد نشرت في كتاب مستقل سيأتي الحديث عنه قريبا .

– اللمعة الثانية والثلاثون : رسالة "اللوامع" ، وهي آخر ما ألفه "سعيد القديم" خلال عشرين يوما من شهر رمضان ، وجاءت منظومة نظما عفويا ، ونشرت ملحقة بمجموعة (الكلمات) .

– اللمعة الثالثة والثلاثون : هي كتاب "المثنوي العربي النوري"(2) ، ألفه النورسي باللغة العربية عام (1922 م) في مرحلة التحول النفسي ، والتي انتقل خلالها من "سعيد القديم" إلى "سعيد الجديد" ، يقول نفسه عن ذلك :

«فبادر إلى ضمد جراحات قلبه وروحه ، وخلص نفسه من الوساوس والأوهام ، وبخلاصه منها انقلب سعيد القديم إلى سعيد الجديد ، فألف بالعربية

---

(1) بديع الزمان : اللمعات – ترجمة إحسان قاسم . ص : 516 .

(2) انظر : بديع الزمان : «المثنوي العربي النوري» ـ تحقيق : إحسان قاسم ، وقد سماه بالمثنوي لأنه يخاطب الوجدان أساساً بروح شاعرية ، وهذا شبيه بمثنوي جلال الدين الرومي وسمي بالعربي لتمييزه عن سابقه ، وبالنوري ، لأنه أساس رسائل النور .

ما هو بحكم المثنوي الشريف – الذي هو أصلا بالفارسية – رسائل عدة في أوجز العبارات»(1) .

وعدّ النورسي كتاب "المثنوى" مشتل رسائل النور ؛ لأنه حمل خلاصة أفكاره : بل إن كل ما أزهر من أفكاره في الرسائل ، بذوره كامنة في هذا الكتاب ، يقول عن ذلك : «فتبين أن "المثنوى العربى" كان نواة لرسائل النور وغرسا لها ، يخلص الناس من شبهات الشياطين من الإنس والجن»(2) .

و"المثنوى" يعكس جوانب من صراع النورسي الهائل مع نفسه المتمردة خلال مرحلة الانتقال من سعيد القديم إلى سعيد الجديد ؛ لذا نرى خطابه متوجها إلى نفسه في إيجاز ، بل وإشكال أحيانا . يقول في مقدمته :

«إن هذه الرسالة نوع تفسير شهودي لبعض الآيات القرآنية ، وما فيها من المسائل أزاهير أقتطفت من جنات الفرقان الحكيم ، فلا يوحشنك ما في عباراتها من الإشكال والإجمال والإيجاز ، فكرر مطالعتها حتى ينفتح لك سر تكرار القرآن أمثال : {له ملك السموات والأرض} . ولا تخف من تمرد النفس ؛ لأن نفسي الأمارة المتمردة المتجبرة انقادت ، وذلك تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق ، بل شيطاني الرجيم أفحم وانخس ، كن من شئت فلا نفسك أطغى من نفسي ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني»(3) .

ضم كتاب المثنوي الرسائل التالية :

-الرسالة الأولى : بعنوان : "لمعات من شمس التوحيد" ، وهي مباحث في إثبات عقيدة التوحيد استنادا إلى بعض الآيات القرآنية .

-الرسالة الثانية : بعنوان : "رشحات من بحر معرفة النبوة" ، وهى مباحث في إثبات حقيقة نبوة الرسول ε وصدقه ، بالإضافة إلى بحوث قرآنية .

-الرسالة الثالثة : بعنوان : "لا سيما" ، وهي مباحث في بيان تلازم أركان الإيمان ، وقيام الكفر على محالات ، وفي إثبات عقيدة الحشر بأدلة قرآنية ومنطقية .

-الرسالة الرابعة : بعنوان : "قطرة من بحر التوحيد" ، وتتضمن تحليلاً (للمعنى الحرفي) و (المعنى الإسمي) ، والنية ، والنظر ، وهذا يعني أن النظرة القرآنية إلى الموجودات تجعلها بمثابة حروف تعبر عن معنى تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم سبحانه ، كما تشتمل الرسالة على بيان أمراض النفس ، وهى : (الغرور ، واليأس ، والعجب ، وسوء الظن) ، وتوضيح أهمية الإيمان وتأثيره .

---

(1) بديع الزمان سعيد النورسي : المثنوي العربي النوري . تحقيق : إحسان قاسم . ص : 31

(2) المصدر السابق .

(3) المصدر السابق . ص : 34 .

-الرسالة الخامسة : بعنوان : "حباب من عمان[1] القرآن الكريم" ، وتتضمن مباحث مختلفة في العقيدة والمعاملات والأخلاق على ضوء الآيات القرآنية .

-الرسالة السادسة : بعنوان : "حبة من ثمرات جنان القرآن" ، وهي أيضا مباحث عقدية : في التوحيد ، والنبوة ، ومنزلة القرآن الكريم .

-الرسالة السابعة : بعنوان : "زهرة من رياض القرآن الحكيم" . وفيها تحليل للنظرة القرآنية والنظرة الفلسفية للكون .

-الرسالة الثامنة : بعنوان : "ذرة من شعاع هداية القرآن" ؛ وهى تبين بعض الحقائق الإيمانية ، وترد على المنكرين والملحدين وتوضح سبب ضلالهم .

-الرسالة التاسعة : بعنوان : "شمة من نسيم هداية القرآن" ، وهى في ثلاث قطع ، وتثبت أيضا حقائق إيمانية ، مع بيان أن كل موجود يشهد بأسماء الله تعالى وصفاته .

-الرسالة العاشرة : بعنوان : "شعلة من أنوار القرآن" ، وهى في التوحيد ، والإيمان والكفر ، وفيها تسبيحات ودعاء .

-الرسالة الحادية عشرة : بعنوان : "نقطة من نور معرفة الله جل جلاله" ، وتوضح براهين التوحيد من خلال حقيقة الرسول ε وكتاب الكون والقرآن الكريم ووجدان الإنسان وفطرته ، كما تبين حقيقة الكفر ومحالاته .

4 / شعا علر (الشعا عات)[2]

هي المجموعة الرابعة من كليات رسائل النور ، وتبدأ من الرسالة الثانية أو (الشعاع الثاني) : حيث يوضح النورسي إنه كتبه في سجن (إسكى شهر) بعد أن أفرج عن أصدقائه وبقي هو وحيداً .

وهذه المجموعة تتألف من خمس عشرة رسالة أو (شعاعاً) .

– الشعاع الثاني : يبين فيه المؤلف أسرار الإيمان وثمرات التوحيد الوفيرة :

– الشعاع الثالث : بعنوان : "رسالة المناجاة" ، وهى مناجاة إلهية تتعلق بربوبيته تعالى ورحمته وحكمته وقدرته : «تثبت وجوب الوجود ، والوحدة والأحدية ، وجلال الربوبية ، وعظمة القدرة ، وسعة الرحمة ، وعمومية الحاكمية ، وإحاطة العلم ، وشمول الحكمة . . وأمثالها من الأسس الإيمانية . . وإن

(1) في اللغة التركية بمعنى : البحر الواسع .

(2) انظر : بديع الزمان سعيد النورسي : «الشعاعات» . ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

إشاراتها إلى الحشر قوية جداً»[1] .

– الشعاع الرابع : وفيه تفسير وجدانى للآية الكريمة {حسبنا الله ونعم الوكيل} ، يبين خلاله المؤلف أن لذة الإيمان موجودة بنفسها في الإيمان ، كما يبين نظرة الإيمان إلى الحياة ، وقضايا إيمانية أخرى .

– الشعاع الخامس : بعنوان : "أشراط الساعة" ، وهى تبين بعض المسائل المتشابهة الواردة في القرآن الكريم ، مثل : علامات الساعة ، ونزول عيسى – عليه السلام– وغيرها من الأمور الغيبية ، وتبرز الرسالة الحكمة من إيراد هذه المتشابهات .

– الشعاع السادس : في بيان معانى (التشهد) .

– الشعاع السابع : رسالة مهمة بعنوان : "الآية الكبرى" ، حشد فيها النورسي البراهين الدالة على وجوده تعالى ، وأدلة وحدانيته لإفحام المنكرين . ثم اختتمها ببيان مهمة رسائل النور .

– الشعاع التاسع : ينتقل النورسي من السابع إلى التاسع مباشرة ، وهو رسالة في تفسير قوله تعالى : {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون} إلى قوله تعالى : {وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم} [الروم : 17–27] .

ويبين النورسي هنا مسألة الحشر التي هي محور الإيمان وقطبه ، مقدما البراهين الدالة عليه ، وموضحا الفوائد الروحية والاجتماعية لهذه العقيدة ، وشهادة الأركان الإيمانية عليها .

– الشعاع العاشر : هو رسالة "الفهرس" من اللمعة الخامسة عشرة ، نظمه طلاب النور وأدرج كل في موضعه من المجموعات .

– الشعاع الحادى عشر : بعنوان : "رسالة الثمرة" ، ألفها النورسي في سجن (دنيزلى) ، وقال في مقدمتها : (هذه الرسالة : دفاع الإيمان ترفعه "رسائل النور" لصد الزندقة والكفر المطلق ، فليس لنا دفاع حقيقي عن قضيتنا – في سجننا هذا – إلا هذا الدفاع ، فنحن لا نسعى إلا للإيمان – ، وهى خاطرة ثمرة أثمرها سجن (دنيزلى) في يومين من أيام الجمع المباركة» . تدور مباحث الرسالة حول الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة ، وثمرة هذا الإيمان .

– الشعاع الثاني عشر : بعنوان : "دفاع محكمة (دنيزلى)" ، هذه الرسالة –كما يبين العنوان– تضم عددا من المرافعات والدفاعات المقدمة إلى محكمة (دنيزلى) ، وبيان أسباب رفض النورسي لما عرضه مصطفى كمال عليه من وظائف .

---

(1) بديع الزمان : «الشعاعات» ، ترجمة : إحسان قاسم . ص : 47 .

– الشعاع الثالث عشر : وهى مجموعة رسائل بعث بها بديع الزمان (في سجن دنيزلى) إلى طلابه لتسليتهم وتوجيههم وتثبيتهم ، حيث وضح فيها مقتضيات خدمة القرآن ومنهج هذه الخدمة .

– الشعاع الرابع عشر : بعنوان : "الدفاعات" ، ويشتمل على دفاعات النورسي ومرافعاته أمام محكمة (أفيون) ، ودفاعات بعض طلابه .

– الشعاع الخامس عشر : بعنوان : "الحجة الزهراء" ، يقول في مقدمتها : «إنها في الحقيقة رسالة عظيمة وواسعة جداً ، وهي فاكهة إيمانية ، وثمرة قرآنية فردوسية أينعت من حياتي التفكرية ، ومن اتحاد علم اليقين وعين اليقين في حياة النور المعنوية التحقيقية»(1) . .

يبين النورسي في هذه الرسالة الحجج الإيمانية في (لا إله إلا الله وحده) ، مع تفسير مختصر لسورة الفاتحة ، وإشارات للرسالة المحمدية .

هذه المجموعات الأربعة وملحقاتها هي أركان كليات رسائل النور ، وتوجد إلى جانبها رسائل أخرى مستقلة أهمها :

. «صيقل الإسلام» أو «محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة» :

وكما يشير العنوان ، فإن هذا المؤلف يتضمن ثلاثة موضوعات رئيسية ، في كل منها مجموعة قضايا فرعية :

الموضوع الأول : في التفسير ، حيث يوضح بعض القواعد الفكرية اللازم اتباعها فيه .

الموضوع الثاني : في البلاغة ، ويشمل الحديث فيه نظم الكلام ، وفلسفة البيان .

الموضوع الثالث : في العقيدة ، وقضية التوحيد ودلائله .

. «قزل ايجاز» :

وهي حاشية كتبها النورسي على متن كتاب «سلم المنطق» في علم المنطق «للشيخ عبد الرحمن الأخضري» ، وقد أوضح أنه كتبها : « . . لأجل تعويد الأذهان على الدقة في الملاحظة والإنعام في النظر»(2) .

. «تعليقات» :

وهي حواش ألفها النورسي على كتاب «برهان للكلنبوي» في علم المنطق أيضاً ، ودوّنها طالبه الملازم له الملاحبيب(3) .

---

(1) بديع الزمان : «الشعاعات» ، ترجمة : إحسان قاسم . ص : 626 .
(2) انظر : قزل ايجاز «صيقل الإسلام» . ص : 163 .
(3) انظر : تعليقات : «صيقل الإسلام» . ص : 239 .

. «السانحات» :

وفيها تفاسير لآيات قرآنية ، ومناقشة لبعض قضايا العقيدة مع بيان تأثيرها في الحياة الاجتماعية[1] .

. «المناظرات» :

وهي مجموعة الدروس التي ألقاها النورسي لإرشاد العشائر الكردية وتوعيتها دينياً واجتماعياً[2] .

.«المحكمة العسكرية العرفية» :

وتتضمن دفاع النورسي في المحكمة عقب اتهامه في حادثة : 3/31/ 1909م[3] .

. «الخطبة الشامية» :

وهي الخطبة التي ألقاها النورسي في المسجد الأموي أمام حشد من علماء الشام أثناء زيارته لدمشق عام 1911م ، وقد بيّن فيها أمراض العالم الإسلامي والعلاج اللازم لها[4] .

. «الخطوات الست» :

وهي رسالة مختصرة ألفها النورسي أثناء الاحتلال الإنجليزي لعاصمة الخلافة ، مبيناً فيها دسائس الاستعمار وداعياً المسلمين إلى مقاومته . وعندما سقطت هذه الرسالة بيد الإنجليز حكموا عليه بالإعدام[5] .

وقد قام الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بجمع المؤلفات السبعة السابقة في كتاب واحد بعد ترجمتها وتحقيق جزء كبير منها ، وسماه كله باسم أول مؤلف : وهو«صيقل الإسلام

(1) انظر : السانحات «صيقل الإسلام» . ص : 331 .
(2) انظر : المناظرات «صيقل الإسلام» . ص : 375 .
(3) انظر : المحكمة العسكرية العرفية «صيقل الإسلام» . ص : 437 .
(4) انظر : الخطبة الشامية «صيقل الإسلام» . ص : 477 .
(5) انظر : «الخطوات الست» : «صيقل الإسلام» . ص : 543 .

إن الدراسة النقدية لمؤلفات بديع الزمان هي في حقيقة الأمر دراسة لفكره ودعوته وسيرة حياته أيضا ؛ لأن رسائل النور – كما اختار تسميتها – استوعبت أهم الموضوعات العقدية والفكرية والتربوية التي شغلت النورسي ، كما تضمنت بيانا عن جوانب من شخصيته وتفاصيل حياته وبيئته .

لكن الدراسة الشاملة والمستفيضة لمنهج الرسائل أمر متعذر هنا ، ليس لأنه لا يعد من مرامي البحث الأساسية ، وإنما لكون هذه الدراسة واسعة ومتشعبة في أكثر من مجال معرفي ، وقد يحتاج كل موضوع إلى بحث خاص ودراسة مستقلة ؛ لذا سأقتصر على تتبع المعالم البارزة في منهج رسائل النور .

ولا أخفي أني وجدت صعوبة في استخلاص منهج الرسائل ؛ لأنني لم أتعامل مع كتاب واحد ذي منهج محدد ، وإنما تعاملت مع سلسلة كتب ألفت على مدى أكثر من أربعين سنة ، في ظروف قاسية ، وحالات نفسية متباينة ، كان لها أثر كبير في صبغ هذه المؤلفات بصبغة خاصة .

فدراسة الرسائل لا تنفصل عن معرفة ظروف مؤلفها ، بل إن غياب هذه المعرفة يشوه وجه الحقيقة ، ويجعل حكمنا على ما نحن بصدد دراسته غير قائم على أساس موضوعي سليم .

ونظراً لصعوبة الإحاطة بدراسة رسائل النور منهجا وموضوعات ، سأكتفي – بعد بيان معالم المنهج – بالتعرف إلى موقف النورسي من أبرز القضايا التي عالجها في رسائله ، وذلك من خلال تناولي للفصول المقبلة .

إن الاهتمام الكبير الذي نالته الرسائل مرجعه – في الأساس – إلى صعوبة الظروف التى ظهرت فيها ، وهذا ما يوضحه النورسي نفسه بقوله : « . إن سبب الاهتمام الذي نالته رسائل النور نابع من أهمية الزمان نفسه . ومن شدة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الأحمدية . . . ومن فتنة آخر الزمان الحالية التي استعاذت منها الأمة الإسلامية منذ القدم . . . ومن زاوية إنقاذ إيمان المؤمنين من صولة تلك الفتنة»(1) .

مزج النورسي في كتابته للرسائل بين اللغة العربية والتركية ، إضافة إلى الفارسية وهي قليلة جداً .

ومؤلفاته العربية هي كالتالي :

1 . تفسير "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" وهو المكتوب الثلاثون ،

(1) بديع الزمان : الملاحق في فقه دعوة النور – ص : 223 .

ويقع في كتاب مستقل حققه إحسان قاسم الصالحي كما سلفت الإشارة إليه .

2 . "المثنوى العربي النوري" ، وهو أيضا مجلد مستقل حققه إحسان قاسم .

3 . كتاب "محاكمات عقلية" أو "صيقل الإسلام" .

4 . الخطبة الشامية .

5 . اللمعة التاسعة والعشرون : وهي : رسالة التفكر الإيماني الرفيع والمعرفة التوحيدية السامية .

6 . الحزب الأكبر النوري .

7 . مناظرات .

8 . قزل إيجاز .

وما عدا هذه المؤلفات فقد كتب باللغة التركية ، لكن بحروف عربية إلى غاية سنة (1955م) ، حيث أذن للنورسي بنشر الرسائل التركية بالحروف اللاتينية ، كي لا يحرم طلاب المدارس الحديثة من رسائل النور[1] .

أول ما يلاحظه القارئ لرسائل النور عناوينها وتسميات مواضيعها ، نحو : "الكلمات" ، و"اللمعات" ، و"الشعاعات" ، و"إشارات" ، و"سنوحات" ، و"رشحات من معرفة النبي ε" ، و"قطرة من بحر التوحيد" ، و"زهرة من رياض القرآن الكريم" ، و"ذرة من شعاع هداية القرآن" ، و"شعلة من أنوار القرآن" ، و"نقطة من نور معرفة الله" . . . ، فهذه العناوين أو التسميات وشبيهاتها تشير إلى أن المؤلف قد امتزجت أفكاره بتجربته النفسية والوجدانية ، وهي تجربة قاسية وقوية ظهرت آثارها في تحليلاته ومناقشاته ، يقول النورسي : «لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاما ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان ، كقوله تعالى : {لعلكم تتفكرون} . . . ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي أنوار عظيمة وحقائق متسلسلة طويلة ، فوضعت بضع كلمات – من قبيل الإشارات – لا للدلالة على تلك الأنوار ، بل للإشارة إلى وجودها ولتسهيل التفكر فيها وللمحافظة على انتظامها»[2] .

أساس موضوعات رسائل النور هو الإيمان بأركانه المتعددة ، إذ نجد أبرز القضايا المطروحة في الرسائل – إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته بأدلة كثيرة ومتنوعة ، وصدق النبوة ومعجزاتها ، وحقيقة الآخرة والحشر ، وعدالة الشريعة ، إضافة إلى قضايا في الدعوة إلى الله ، وقضايا اجتماعية وسياسية مختلفة .

---

(1) انظر : إحسان قاسم الصالحي :(بديع الزمان سعيد النورسي . نظرة عامة عن حياته وآثاره» . ص 187 .

(2) بديع الزمان : اللمعات ، ترجمة : إحسان قاسم . ص 456 .

لكن لماذا كان هذا التركيز الشديد على إثبات أصول العقيدة في الرسائل؟

يوضح النورسي هذه المسألة في مقدمة رسالة الطبيعة بقوله : «إن الداعي الأشد إلحاحا إلى تأليف هذه الرسالة هو ما لمسته من هجوم صارخ على القرآن الكريم ، والتجاوز الشنيع على الحقائق الإيمانية بتزييفها ، وربط أواصر الإلحاد بالطبيعة ، وإلصاق نعت "الخرافة" على كل ما لا تدركه عقولهم القاصرة العفنة... وقد أثار هذا الهجوم غيظا شديدا في القلب ، ففجر فيه حمما سرت إلى أسلوب الرسالة ، فأنزلت هذه الحمم والصفعات على أولئك الملحدين وذوي المذاهب الباطلة المعرضين عن الحق»(1) .

لقد كان الإسلام بأسسه العقدية والتشريعية والأخلاقية يتعرض إلى هجوم عنيف لا يستهدف التشكيك فيه وحسب ، وإنما يستهدف تحطيم هذه الأسس كلها ؛ لذا نجد موضوعات الرسائل قد اتجهت لصد هذا الهجوم . ويؤكد النورسي أن رسائل النور لا تعالج قضايا جزئية ، ولا ترمم بيتا صغيرا – كما عبر عن ذلك ، وإنما ترمم قلعة عظيمة – صخورها كالجبال – تحتضن الإسلام وتحيط به ، كما أنها لا تسعى إلى إصلاح قلب خاص ووجدان معين ، وإنما «تسعى – وبيدها إعجاز القرآن – لمداواة القلب العام المجروح ، وضمد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها و ركمت منذ ألف سنة ، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع ، ولاسيما عوام المؤمنين»(2) .

نعم ، هذا ما يقدمه النورسي سببا مباشراً لتركيزه على أمور العقيدة ، وهو سبب لاشك في صحته ومقبوليته ، لكني أرى لهذا السبب جذورا في التكوين النفسي للنورسي ، إذ نجده – منذ سن مبكرة – مشدودا إلى قضايا عقدية وفلسفية أبرزها قضية البقاء والفناء ، فقد مر بنا كيف أنه حدث خياله في عهد صباه عن أي الأمرين يفضل : «قضاء عمر سعيد مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم؟ أم وجودا باقيا مع حياة اعتيادية ذات مشقة؟» فرأى أنه يرغب في الثانية ويضجر من الأولى ، قائلا : «إنني لا أريد العدم بل البقاء»(3) .

ويؤكد هذه القضية في مواضيع أخرى كثيرة ، منها قوله : «في فطرة الإنسان عشق شديد نحو البقاء ، حتى إنه يتوهم نوعا من البقاء في كل ما يحبه ، بل لا يحب شيئا إلا بعد توهمه البقاء فيه ، ولكن حالما يتفكر في زواله أو يشاهد فناءه يطلق عليه الزفرات والحسرات من الأعماق . . . نعم إن جميع

---

(1) المصدر السابق . ص 266 .
(2) بديع الزمان : «الملاحق في فقه دعوة النور» ، ترجمة إحسان قاسم . ص : 118 .
(3) بديع الزمان : الشعاعات . ص 277-278 .

الآهات والحسرات الناشئة من أنواع الفراق ، إنما هي تعابير حزينة تنطلق من عشق البقاء ، ولولا توهم البقاء لما أحب الإنسان شيئا . . . »[1] .

لقد كان النورسي يحمل استعدادا لتناول قضايا العقيدة منذ صباه المبكر ، ثم تطور هذا الاستعداد إلى قدرة على معالجة تلك القضايا معالجة عميقة ، ولعل ما كشف بجلاء عن هذه القدرة هو التحدي الذي واجهته العقيدة آنئذ ، لذلك حرص النورسي على أن تكون مصنفاته أو رسائله ذات طابع خاص يتناسب وطبيعة تحديات العصر «بخلاف مصنفات العلماء السابقين وأغلب الكتب القديمة التي تبحث في ثمار الإيمان ونتائجه وفي فيوضات معرفة الله تعالى ؛ لأنه لم يكن في عصر أولئك العلماء تحد واضح ، ولا هجوم سافر يقتلع جذور الإيمان وأسسه ؛ إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة ، أما الآن فإن هناك هجوما عنيفا جماعيا منظما على أركان الإيمان وأسسه لا تستطيع أغلب تلك الكتب والرسائل التي كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين فقط أن تصد التيار الرهيب القوي لهذا الزمان ولا أن تقاومه ، أما رسائل النور ، فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه ، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود ، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة»[2] .

---

(1) بديع الزمان : اللمعات . ص : 23 .

(2) بديع الزمان : الملاحق . ص . 105 .

تصنيف رسائل النور :

كيف يمكن أن نصنف رسائل النور؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نتعرف إلى منهج الكتابة الذي سلكه النورسي في رسائله ، أو – بتعبير آخر- طريقة إنشائها .

فالرسائل ليست واحدة ، إذ تتنوع موضوعاتها ، ويختلف الداعي إلى كتابتها ، كما يختلف المخاطب بها أحيانا ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف ، فإنها تشترك جميعا في خدمة الإيمان ودفع الشبهات عنه .

لقد كان النورسي يؤلف الرسائل إما :

1 – جوابا عن سؤال أحد طلبته أو بعضهم ، وهذا منه كثير ، مثال ذلك : الرسالة التاسعة من مجموعة "الكلمات" ، جاء في مقدمتها : {بسم الله الرحمن الرحيم : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ✎ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون} [الروم : 17-18] أيها الأخ ؛ تسألني عن حكمة تخصيص الصلاة في هذه الأوقات الخمسة المعينة ، فنشير إلى حكمة واحدة فقط من بين حكمها الوفيرة»(1) .

2– أو رداً على المعادين للدين ، ودحضا لادعاءاتهم المنافية للحقائق الإيمانية ، مثال ذلك : رسالة "الطبيعة" التي جاء في أولها هذا التنبيه المبين لمضمونها وهدفها :

«لقد بينت هذه المذكرة ماهية المذهب الذي يسلكه الجاحدون من الطبيعيين ، وأوضحت مدى بعد مسلكهم عن موازين العقل ، ومدى سماجته وخرافيته ، وذلك من خلال تسعة محالات مستخلصة من تسعين محالا في الأقل . . .»(2) .

3– أو تذكيراً لنفسه وزجراً لها ، مثال ذلك ما جاء في قوله : «اعلم أيها السعيد القاصر العاجز الفقير أن في نفسك قصورا بلا نهاية ، وعجزاً بلا غاية ، وفقراً بلا انتهاء ، واحتياجا بلا حد ، وآمالا بلا عد . . .»(3) .

4– أو تفسيراً لآية أو آيات قرآنية من خلال النظر في دلالاتها وحكمها ، مثال ذلك ما جاء في "رسالة الاقتصاد"(4) ، تفسيرا لقوله تعالى : {وكلوا

---

(1) بديع الزمان : . الكلمات . ص : 38 .
(2) بديع الزمان : اللمعات . ص : 266 .
(3) بديع الزمان : المثنوي العربي النوري . ص 364 . و 366 .
(4) بديع الزمان : اللمعات . ص : 211 ومابعدها

واشربوا ولا تسرفوا} [الأعراف : 31] . يقول في مقدمتها : «هذه الآية الكريمة تلقن درسا في غاية الأهمية ، وترشد إرشادا حكيما بليغا بصيغة الأمر إلى الاقتصاد ، ونهي صريح عن الإسراف ، تتضمن هذه المسألة سبع نكت» .

5- أو تفسيراً لحديث شريف ، أو بيانا لحكمة :

مثال ذلك قوله : «تسألون يا أخي عن حكمة الحديث الشريف : «جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله» ، فقد ذكرناها في كثير من "الكلمات" ، والآن نذكر حكمة منها . . . »(1) .

6. أو تسلية للمصابين والمبتلين :

مثال ذلك الرسالة الخامسة والعشرون من "اللمعات" ، ويصدرها بقوله تعالى : {الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون} [البقرة : 156] . ثم يقول : «في هذه اللمعة نبين خمسة وعشرين دواء بيانا مجملا ، تلك الأدوية التي يمكن أن تكون تسلية حقيقية ومرهما نافعا لأهل البلاء والمصائب وللمرضى العليلين الذين هم عشر أقسام البشرية»(2) .

7 . أو مخاطبة لرجال الدولة والمسؤولين :

فقد كان يوجه النورسي رسائل إلى المسؤولين ، إما للتعبير عن رفضه لما يلاقيه من ظلم ، أو تقديمه لنصائح وإرشادات . . . مثال ذلك الرسالة الموجهة إلى مدير الأمن العام في أنقرة التي جاء في مقدمتها : «إن كنت تريد أن تقابل شخصا ضعيفا ، قاسى بصورة غير رسمية السجن المنفرد والعزل التام طوال عشرين سنة ، ولاقى من العنت والضيق ما لا نظير له ، ثم آثر السكوت برغم كل ذلك . . . فإن كنت تريد مقابلته مقابلة حقيقية جادة – وليست مقابلة رسمية – فها أنا أتكلم معكم قليلا»(3) .

8 . أو دفاعا عن قضية أثناء المحاكمات :

مثل ما جاء في دفاعه أمام المحكمة : «إن بعضاً ممن جعلوا السياسة أداة للإلحاد ، يتهمون الآخرين بالرجعية أو باستغلال الدين ، ليتستروا على سيئاتهم وجرائمهم»(4) .

تلك هي – عموما – الدواعي التي دفعت النورسي إلى كتابة رسائله ، لكنها جميعا تشترك في السعي لخدمة هدف واحد من خلال عمليتين متوازيتين : عملية هدم للنظريات المعادية للدين ، وعملية بناء لترسيخ أركان الإيمان ،

---

(1) بديع الزمان : المكتوبات . ص : 427 .
(2) بديع الزمان : اللمعات . ص 316 .
(3) بديع الزمان : الملاحق . ص : 267 .
(4) بديع الزمان : صيقل الإسلام (المحكمة العسكرية العرفية) . ص : 441 .

وتكوين جيل محصن ضد كل أنواع الغزو .

ومن خلال قراءتي لما توافر لدي من رسائل النور ، وهي حوالي ثمانية مجلدات ضخمة تضم آلاف الصفحات ، فإني لمست الطابع الموسوعي الذي تتميز به هذه الرسائل ، والمنهج الجديد الذي سلكه بديع الزمان ، سواء في تفسيره لكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أم في نظرته للمعرفة وطرقها . ويؤكد النورسي الطابع الموسوعي للرسائل بقوله : «إن رسائل النور قد حلت أكثر من مئة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم ، و وضحتها وكشفتها وألجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم ، وأثبتت كالشمس ما كان يظن بعيداً عن العقل ، كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني للمعاندين المتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان . . . »(1) .

القلب و العقل في رسائل النور :

سلك النورسي في رسائله مسلكا خاصا ؛ إذ مزج بين العقل والقلب ، بين ما يقوم على البرهنة والاستدلال العقلي ، وبين ما يتحقق بالذوق والتجربة الوجدانية ، وليس من السهل تحقيق التوازن في هذا المزج ، ولاسيما إذا كان في مجال الدفاع عن العقيدة وترسيخ أركانها .

لقد حاول النورسي صياغة القضايا الإيمانية والبرهنة على صدقها وأحقيتها بأسلوب هو مزيج من فكر العقل ومشاعر القلب ، ولعله حقق في محاولته هذه نجاحا واضحا : والدليل هو قوة تأثير الرسائل في نفوس قارئيها ، إذ استطاعت أن تجمع حولها مئات الآلاف من الطلبة الذين تحملوا المشاق والعنت ، بل السجن والتغريب من أجل استنساخها ونشرها والدفاع عنها .

ويتحدث النورسي عن تجربته الوجدانية التى بدأت خلال الأسر في روسيا ، واتضحت معالمها أثناء نفيه في (بارلا) ، فيقول : «لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاما ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان . . . ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي أنوار عظيمة وحقائق متسلسلة طويلة ، فوضعت بضع كلمات – من قبيل الإشارات – ، لا للدلالة على تلك الأنوار ، بل للإشارة إلى وجودها»(2) .

لكن هذا المزج بين قلب النورسي وعقله لم يكن دائما بنسب متساوية – في رسائل النور – ؛ لأننا نلحظ أحيانا غلبة الجانب الذاتي أو الوجداني ، بل نراه في بعض الأحيان متضخما إلى حد يبتعد بالنورسي عن المقاييس العقلية والضوابط المنطقية ، وهو ما يعترف به في مقدمة اللمعة الثالثة ، إذ يقول قبيل

---

(1) بديع الزمان : الملاحق . ص : 248 .
(2) بديع الزمان : اللمعات . ص : 456 .

تفسيره لقوله تعالى : {كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون} [القصص : 88] (لقد مازج هذه اللمعة شئ من الأذواق والمشاعر ، فأرجو عدم تقييمها بموازين علم المنطق ؛ لأن ما تجيش به المشاعر لا يراعي كثيرا قواعد العقل ، ولا يعير سمعا إلى موازين الفكر»(1) .

كما أننا نجد النورسي يتجنب في حالات معينة التطرق إلى مناقشة القضايا العلمية للسبب السابق ذاته ، ففي معرض الرد على أسئلة أحد طلابه يقدم أسباب امتناعه عن الإجابة عن أحد الأسئلة آنئذ ، موضحا أنه لا ينشغل إلا بالسوانح القلبية ، لوجود حالات طارئة تحول دون اشتغاله بالمسائل العلمية ، وهذا ما يترتب عليه عدم استطاعته الإجابة عن السؤال بجواب شاف(2) .

إن غلبة الجانب الوجداني على شخصية النورسي لها ما يبررها ، فقد كان يخوض صراعين مستمرين وعلى درجة كبيرة من القوة : صراع مع النفس ، وصراع مع الماديين الذين أنكروا الإيمان . وإذا كان الصراع في ميدان العقيدة ، فإننا نستوعب أسباب قوته وضراوته ؛ إذ – مهما كان الإنسان موضوعيا وملتزما بمناهج البحث العلمية المتعارف عليها – لا يستطيع أن يتجرد من ذاتيته وهو يتناول قضايا العقيدة ، ولاسيما إذا كانت هذه العقيدة تتعرض لهجوم عنيف .

إن رسائل النور تنقل لنا تصويرا واضحا لهذين الصراعين ، إذ يقول النورسي : «اعلم ؛ أن هذه ثلاثون سنة لي مجادلة مع طاغوتين ، وهما : " أنا" في الإنسان ، و"الطبيعة" في العالم . . أما هذا ، فرأيته مرآة ظليا حرفيا ، لكن نظر الإنسان إليه نظراً اسميا قصديا بالأصالة ، فتفرعن عليه وتنمرد ، وأما هذه فرأيتها صنعة إلهية ، وصبغة رحمانية . . لكن نظر البشر إليها بنظر الغفلة ، فتحولت لهم "طبيعة" فتألهت عند ماديهم ، فأنشأت كفران النعم المنجر إلى الكفر»(3) .

وعندما يتوجه النورسي باللوم والتعنيف إلى نفسه الجموح ، فهو يخاطب من خلالها كل نفس بشرية مغرورة عصية على الاقتناع إلا بالدليل القاطع ، فالدرس الذي أقنع مؤلفه – كما يوضح بديع الزمان – وأزال وساوس نفسه وشبهاتها ، لهو درس قوي «بحيث يتمكن وحده أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة – بتشكيلاتها الجماعية المنظمة – ، بل أن يجابهها ويتغلب عليها»(4) .

فالنورسي – إذن – لا يمكث حبيس نفسه وذاتيته ، وإنما يحاول أن

---

(1) بديع الزمان : اللمعات . ص : 21 .
(2) بديع الزمان : اللمعات . ص : 137 .
(3) بديع الزمان : المثنوي العربي النوري . ص : 221 .
(4) بديع الزمان : الملاحق . ص : 105 .

يتجاوزها لمخاطبة كل نفس بشرية لكونها ذات خصائص ومكونات واحدة ، مستعينا في ذلك بطول التأمل في الآيات القرآنية والآيات الكونية ، لاستخراج النكت الإعجازية التي تزيل كل ريب أو تردد .

القرآن الكريم في رسائل النور :

اعتمد النورسي – أثناء تأليفه للرسائل – على القرآن الكريم اعتماداً شبه كامل ، فلم يكن لديه ما يرجع إليه من المصادر والمراجع سوى القرآن الكريم .

ولئن كان قد جمع بين قوة الذكاء وسعة الحافظة ، فإننا لا نلحظ إلا إشارات خفيفة إلى بعض المصادر الرئيسية في العلوم الإسلامية التي ظلت مسائلها عالقة بذهنه ، هذا باستثناء الحديث النبوي الذي تفوق فيه بديع الزمان ، فإن له حضورا ملحوظا بعد القرآن الكريم .

لكن هذا لا يعني أنه لم يفد من كتب السابقين(1) ، بل إنه اطلع عليها في مراحل تكوينه العلمي الأولى ، واستوعب محتوياتها ، وحفظ قسما منها حتى أثرت معرفته وصقلتها ، ولاسيما بعد أن أضاف إليها ما استجد من علوم العصر ؛ وهذا ما هيأ له القدرة على النظر في القرآن الكريم واستخلاص حقائقه وحكمه المعجزة .

وهذه العلوم – على عمقها وتنوعها – لم تكن وحدها كافية لإظهار الحقائق والحكم . فالرسائل اكتسبت قوة تأثيرها من قوة مصدرها وهو القرآن المعجز(2) . ويؤكد النورسي قداسة المصدر في الرسائل ، ورجوعها إليه وحده بقوله : «إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون ، فلا مصدر لها سوى القرآن ، ولا أستاذ لها إلا القرآن ، ولا ترجع إلا إلى القرآن . . . ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها ، فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم ، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة»(3) .

---

(1) تيسر للنورسي دراسة أمهات المصادر في العلوم الإسلامية واللغوية ، وقد أشرت إلى بعضها في الفصل الأول ، ومنها أيضاً : كتب الشافعي ، وأحمد ابن حنبل ، والغزالي ، والجرجاني ، والسكاكي ، والتفتازاني ، والسيوطي وغيرها . . .

(2) بديع الزمان : الكلمات . ص : 173 .

(3) بديع الزمان : الملاحق . ص : 221 .

التفسير في رسائل النور :

أالنورسي لم يؤلف تفسيرا كاملا مترابطا يسير وفق منهج محدد ؛ لأنه يعتقد أن إنجاز هذا العمل – على الوجه الذي يستجيب لمتطلبات العصر – مهمة يعجز عنها المفسر الواحد : «أقول : لما كان القرآن جامعا لأشتات العلوم ، وخطبة لعامة الطبقات في كل الأعصار ، لا يتحصل له تفسير لائق من فهم الفرد الذي قلما يخلص من التعصب لمسلكه ومشربه ؛ إذ فهمه يخصه ، ليس له دعوة الغير إليه إلا أن يعديه (يجيزه) قبول الجمهور »(1) .

إن نظرة النورسي إلى التفسير نظرة شمولية تلائم خصائص القرآن الكريم الذي طرح قضايا شاملة ، وخاطب الناس كافة في كل عصر من العصور ؛ لذا فهو يرى أن الطريق الأمثل لإخراج تفسير جامع للقرآن الكريم يستجيب لحاجات العصر ، هو في اجتماع لجنة من كبار العلماء المتخصصين ، كل في مجال تخصصه ، ويقوم كل عالم بدراسات مستفيضة في جانب من جوانب القرآن الكريم ، فيحصل من مجموع تلك الدراسات تفسير جامع للقرآن الكريم ، مستجيب لمستجدات العصر : «... كذلك لا بد لكشف معاني القرآن وجمع المحاسن المتفرقة في التفاسير ، وتثبيت حقائقه المتجلية بكشف الفن (العلم الحديث) وتمخيض الزمان ، من انتهاض هيئة عالية من العلماء المتخصصين ، المختلفين في وجوه الاختصاص ، ولهم مع دقة نظر وسعة فكر لتفسيره»(2) . كما أضاف إلى هذا شرطا مهما ، هو ضرورة توافر الحرية الفكرية للمفسر ؛ إذ بدونها يختل جانب مهم في الدراسة العلمية الموضوعية المرجوة(3) .

ولتعذر تحقيق هذا الأمر ، فقد شرع النورسي في تفسير القرآن الكريم –أثناء الحرب العالمية – مبتدئا ببيان إعجاز القرآن البلاغي(4) إلا أن ظروف الحرب والأسر لم تيسر له إتمام كتابه : "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" ، كما أن اشتداد موجة العداء للدين ومحاولة تحطيم أسسه ، جعلت بديع الزمان يغير منهجه في الدعوة إلى الإسلام ؛ فمن خلال رسائل النور أصبح يدافع عن العقيدة ويرسخ أركانها . وقد لجأ كثيراً إلى تفسير آيات قرآنية في رسائله حتى عدها كلها تفسيرا لمعاني القرآن : «إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم ،

---

(1) بديع الزمان : إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز . ص : 20 .

(2) المصدر السابق .

(3) انظر : بديع الزمان : إشارات الإعجاز(الطبعة التركية) . ص : 7 . 8 .

(4) انظر : المصدر السابق . ص 21 .

وتفسير قيم له ، وهي لمعة من لمعات إعجازه المعنوي»[1] .

لكن هذا التفسير لم يسر على نمط واحد ، ولم يتبع منهجا محددا ؛ فالقارىء له يكتشف في بداية قراءته أو نهايتها أن النورسي اتجه إلى الآيات القرآنية اتجاها روحيا ، وتعامل معها تعاملا ذوقيا ، وهو ما يجعل القارئ يصنف هذا التفسير ضمن التفسير الإشاري ، الخاضع للقواعد والشروط التي وضعها العلماء لقبوله ، بل إن النورسي نفسه يصرح بذلك حين يقول : «... فنحن لا نقول في تلك الرسالة : إن المعنى الصريح للآية الكريمة هو هذا ، ليقول العلماء : فيه نظر ؛ ولم نقل فيها : إن كلية المعنى الإشاري هي هذه ، بل نقول : إن تحت المعنى الصريح للآية الكريمة طبقات متعددة من المعاني ، إحدى هذه الطبقات هي المعنى الإشاري أو الرمزي ، فهذا المعنى الإشاري أيضا هو كلى ، له جزئيات في كل عصر ، فرسائل النور فرد في هذا العصر من أفراد كلية طبقة المعنى الإشاري ذاك . . .»[2] .

إن إشارية النورسي في تفسيره لم تنحرف به عن القواعد والضوابط التي اصطلح عليها العلماء كي يكون التفسير مقبولا ، بل إننا نجد النورسي يؤكد في أكثر من موضع أن شرط مقبولية أي وجه أو معنى يذهب إليه المفسر ، يكمن في مراعاة قواعد اللغة ومقاصد الشرع ، فما دامت هذه الوجوه والمعاني محكومة بأصول التفسير ، فهي – إذن – مقبولة : « . . إن جميع الوجوه والمعاني التي هي صحيحة حسب علوم العربية ، وصائبة وفق أصول الدين ، ومقبولة في فن المعاني ، ولائقة في علم البيان ، ومستحسنة في علم البلاغة ، هي من معاني القرآن الكريم بإجماع المجتهدين والمفسرين وعلماء أصول الدين وأصول الفقه . .»[3] .

ولئن كان النورسي قد سلك في تفسيراته مسلكا إشاريا ، فإنه لم يغفل التفسير بالمأثور ، بل إنه أكد عليه وأبعد عنه كل شبهة ؛ لأنه نصوص قاطعة وأسس وأركان لابد من الإيمان بها ...[4] وفي أكثر من موضع يقدم نماذج قيمة تجمع بين التفسير الظاهر والإشاري للآية ، مثال ذلك ما يقدمه في حديثه عن أقوال العلماء في قوله تعالى : {رب العالمين} ، والتي مفادها وجود ثمانية عشر ألف عالم ، فقبل الشروع في تحديد المعنى من قوله تعالى يمهد بعض الأصول المتبعة في التفسير ، ويذكر بأن جمل القرآن الكريم لا تنحصر في معنى واحد بل تتضمن معاني متعددة (لأن القرآن يتوجه لكل طبقة من طبقات البشرية ، فالمعاني المبينة هي في حكم جزئيان لتلك القاعدة الكلية ، وكل مفسر يذكر جزءاً من ذلك المعنى الكلي ، وهو في تفسيره يستند إما إلى كشفياته ، أو إلى دليله ، أو إلى مشربه ، فيرجح معنى دون غيره من

---

(1) انظر : بديع الزمان : الملاحق . ص : 220 .
(2) بديع الزمان : الملاحق . ص : 179 . 180 .
(3) بديع الزمان : الكلمات . ص : 456 .
(4) بديع الزمان : المكتوبات . ص : 501 .

المعاني...»[1] .

وبعد التمهيد بهذه القاعدة ، يقدم النورسي مثالا تطبيقيا لها على قوله تعالى : {مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان} [الرحمن : 19-20] ، فيبين المعاني الجزئية للآية ابتداءً من بحر الربوبية في دائرة الوجوب ، وبحر العبودية في دائرة الإمكان ، وانتهاء إلى بحري الدنيا والآخرة ، وإلى بحري عالم الشهادة وعالم الغيب ، وإلى البحار المحيطة في الشرق والغرب ، وفى الشمال والجنوب ، . . . ، وإلى غيرها من أنواع البحار الموجودة . . [2] . ومن هذا المثال يخلص إلى القاعدة التي تحدث عنها ، فيؤكد أن جميع هذه الجزيئات هي من معاني الآية ، وتصح أن تكون كلها مرادة ومقصودة فهي معان حقيقية للآية ، ومعان مجازية[3] .

وبعد التوضيح والبيان للقاعدة والمثال ينتقل إلى تقديم ما فهمه من قوله تعالى : {رب العالمين} : «وأنا أفهم من الآية الكريمة الآتي : إن في السموات ألوفا من العوالم ، ويمكن أن يكون كل نجم عالما بذاته ، وفى الأرض أيضا ، كل جنس من المخلوقات عالم بذاته ، حتى إن كل إنسان عالم بذاته ، فكلمة {رب العالمين} تعني : أن كل عالم يُدار وتُدبر شؤونه بربوبيته سبحانه وتعالى مباشرة»[4] .

إن النورسي يصرح في كثير من المواضع بسلوكه مسلكا فيضيا في تفسير آيات القرآن الكريم[5] ، وهو لا يكتفي بهذا التصريح ، بل إنه لا يربط رسائل النور بشخصه وقدراته الفكرية القاصرة – كما يرى – ، وإنما يربطها بحججها القوية التي قامت عليها . . . [6] .

وأقول : مع كل هذه التصريحات التي يؤكد فيها النورسي الطابع الفيضي في رسائله ، فإنه لم يجنح إلى الغلو في تفسيراته ، مثلما فعل بعض الذين سلكوا هذا المنهج في التفسير ، فعقل النورسي حاضر في الرسائل من خلال التحليلات الدقيقة والمناقشات المستفيضة لما هو معروض فيها ، أضف إلى ذلك أن الآيات القرآنية ذاتها التي تناولها ببيان معانيها الخفية وإشاراتها البليغة ، كان أغلبها ذا علاقة وثيقة بواقع الأمة الإسلامية وما تتعرض له من هجوم يستهدف تحطيم عقيدتها ، وتفكيك نظمها التشريعية والأخلاقية[7] .

---

(1) المصدر السابق . ص : 422 .
(2) بديع الزمان : المكتوبات . ص : 423 .
(3) المصدر السابق .
(4) المصدر السابق .
(5) انظر : بديع الزمان : المثنوي العربي النوري . ص : 35 .
(6) انظر : بديع الزمان : الملاحق . ص : 307 . 308 .
(7) انظر مثلا : (رسالة الاقتصاد) ، و(رسالة الطبيعة) ، و(رسالة الحجاب) وكلها في اللمعات .

إن هذه الواقعية في طرح القضايا من خلال رسائل النور هي التي جعلته يتصدى للماديين ، يناقشهم ويبطل حججهم ، وهي التي دفعته إلى مجادلة أهل الكتاب لبيان انحرافهم وضلالهم ، و حملته على تصحيح التصور العقدي لدى المسلمين . . . كل ذلك من أجل تجديد أمر الدين ومحاربة الكفر .

إن تحديد طابع التفسير في رسائل النور أمر قد تكتنفه بعض الصعوبات ، وهي صعوبات ناشئة من موسوعية الرسائل ، ومن شمولية التفسير فيها ؛ إذ لم يقتصر النورسي على تفسير الآيات القرآنية ، فالقرآن – كما يرى بديع الزمان – لا ينحصر في القرآن المتلو وحده ، وإنما يتسع ليشمل القرآن المنظور الذي هو الكون كله بسمواته وأراضيه ، بنجومه وكواكبه ، وليشمل القرآن الناطق المطبق الذي هو رسول الله ε .

فهذه الشمولية في نظرة النورسي هي التي تجعل الحكم على تفسيره يحتاج إلى التريث ، لكن هذا لا يمنعني من القول : إن التفسير في رسائل النور لم يقتصر على الإشاري المقبول ، وإنما ضم إلى جانب ذلك أكثر من طابع من التفسير بحسب الموضوع الذي يتناوله .

من هنا ، أستطيع القول : إن تفسيرات النورسي هي من قبيل التفسير الإشاري الموضوعي ، أي : الذي يتناول موضوعات معينة فقط ، وليس كل الموضوعات التي يمكن أن يتطرق لها القرآن الكريم ؛ لأن النورسي كان يرمي من وراء تفسيره إلى خدمة قضايا الإسلام والدفاع عنها ، إذن فلا غرابة أن نلحظ التركيز الشديد في الرسائل على قضية الإيمان بالله ورسله ويوم الحشر ، ولعل تفسير "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" يقدم نموذجا واضحا لمنهج النورسي المتميز في التفسير(1) .

لا يسير النورسي على نمط واحد في عرض موضوعاته ، لكن الغالب هو أن يستفتح موضوع كل رسالة بآية قرآنية ، أو عدة آيات قرآنية ، أو آية و حديث . ثم يعقب ذلك بمقدمة موجزة تلخص الموضوع ، ثم يشرع في الشرح والتوضيح وعرض عناصر الموضوع مع الاستعانة بالأمثال والحكايات ذات الرموز والدلالات .

فمثلا في الرسالة الثانية عشرة من "الكلمات"(2) ، يفتتح بقوله تعالى : {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} [البقرة : 269] ، ثم يمهد بمقدمة يعرض فيها خلاصة الرسالة قائلا : «هذه الكلمة تشير إلى موازنة إجمالية بين حكمة القرآن الكريم المقدسة وحكمة الفلسفة ، وتشير أيضا إلى خلاصة

. ص 211 ، 265 ، 299 .

(1) ركز النورسي في هذا التفسير على بيان إعجاز القرآن النظمي . انظر ذلك في المبحث المقبل .

(2) ص : 143 .

مختصرة لما تلقنه حكمة القرآن من تربية الإنسان في حياته الشخصية والاجتماعية ، فضلا عن أنها تضم إشارة إلى جهة ترجح القرآن الكريم وأفضليته على سائر الكلام . . . بمعنى أن هناك أربعة أسس في هذه الكلمة . . » .

وبعد المقدمة يشرع في تقديم عناصر الموضوع الذي قسم إلى أربعة أسس : يبين في الأساس الأول :

الفروق بين حكمة القرآن الكريم وحكمة العلوم من خلال أمثلة قصصية تصور هذه الفروق .

وفي الأساس الثاني يعقد موازنة بين التربية الأخلاقية التي يربي بها القرآن تلاميذه وبين الدرس الذي تلقنه حكمة الفلسفة .

أما في الأساس الثالث فيوضح التأثير التربوي في المجتمع الإنساني لكل من حكمة الفلسفة وحكمة القرآن .

وفي الأساس الأخير يوضح سمو القرآن على سائر الكلام ، وذلك من خلال مثالين توضيحيين ، ومن خلال الدعوة إلى تدبر عدة آيات قرآنية تؤكد هذه الحقيقة . وبعد تفصيل الموضوع وشرحه يختم الرسالة بدعاء قصير .

هذا نموذج قد تأتي على وفقه الرسائل في كثير من الأحيان ، كما أنها قد تأتي في شكل سؤال وجواب ، أو قد يرد السؤال والجواب أثناء سرد الموضوع أوفى ثناياه ؛ وذلك لإثارة انتباه القارئ ومحاولة شد انتباهه إلى جوهر الموضوع .

وهذا أساس مهم يعتمده النورسي في رسائله ؛ إذ يريد أن يشرك قارئه في تجربته الوجدانية ، وينقله بكليته إلى الرحاب النفسية التي يعيشها . ففي الكلمة السادسة يقول بعد ذكر قوله تعالى : {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم} [التوبة : 111] : «إذا أردت أن تعلم أن بيع النفس والمال إلى الله تعالى ، والعبودية له ، والجندية في سبيله أربح تجارة وأشرفها ؛ فانصت إلى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة...»(1) .

ولم يقتصر النورسي على إثارة انتباه قارئه ، بل نجح في إشراكه معه في تجربته الذاتية ، وأرجح أن سر نجاحه يعود إلى قوة انفعاله وعمقه ، وصدقه في هذه التجربة ، فلا غرو أن يبلغ تأثيرها نفوس مستمعيه ، كما أن انتقاله من الكلي إلى الجزئي ومن المبهم إلى الواضح زاد قوة هذا التأثير(2) .

وُهب النورسي خيالا واسعا سمح له بالذهاب بعيدا في التأمل والتفكير ، ولاشك أن العلاقة وثيقة بين التمثيل والخيال ؛ لأن القدرة على ضرب الأمثال وتصوير المجردات بشكل قصص وحكايات قصيرة دليل على سعة الخيال وقوة

---

(1) بديع الزمان : الكلمات . ص : 21 . وانظر أيضاً : المثنوي العربي النوري . ص : 34 .
(2) انظر : بديع الزمان : الشعاعات . ص : 68 .

الذكاء .

ولا تكاد تخلو رسالة من رسائل النور من التمثيل والتصوير القصصي ، بل إن بديع الزمان يسير على النمط نفسه في إيراد التشبيه والتمثيل في رسائل متتالية ، ففي الكلمة الأولى يقول مخاطبا نفسه : « . . . فإن كنت راغبة في إدراك مدى ما في{بسم الله} من قوة هائلة . . . فاستمعي إلى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة . . .»(1) .

ويقول في الكلمة الثانية يقول : «إن كنت تريد أن تعرف ما في الإيمان من سعادة ونعمة ، ومدى ما فيه من لذة وراحة ، فاستمع إلى هذه الحكاية القصيرة . . .»(2) .

و يقول في الكلمة الثالثة : «إن كنت تريد أن تفهم كيف أن العبادة تجارة عظمى وسعادة كبرى ، وأن الفسق والسفه خسارة جسيمة وهلاك محقق ، فانظر إلى هذه الحكاية التمثيلية وانصت إليها . . . »(3) ، ويستمر على هذا المنوال في كثير من الرسائل .

ولعل هذا التركيز في استخدام التمثيل مرجعه إلى قوة التيار المشكك – باسم العلم – في الدين وأسسه التي كانت في السابق راسخة ، وكان الانقياد لها تاما ، أما وقد أصبحت هذه الأسس هدفا للتشكيك ، فإن بديع الزمان لجأ إلى ضرب الأمثال ليظهر بمنظارها الحقائق البعيدة جداً قريبة جداً(4) يقول في خلاصة حديثه عن ضرب الأمثال : «إنه مهما يظهر من قوة التأثير والجمال في كتاباتي ، فهي ليست إلا من لمعات (ضرب الأمثال) في القرآن الكريم ، وليس حظي من ذلك إلا مجرد الطلب مع شدة الحاجة . . . فالداء مني والدواء من القرآن»(5) .

لقد أكثر النورسي من إيراد التشبيه والتمثيل بصورة حكايات ، وهو بذلك يعمل على تحقيق أمرين :

– أولاً : استخدام الصور والحكايات في تقريب المعاني إلى الأذهان .

– ثانياً : إظهار أن الحقائق الإسلامية لا تنافي العقول بل هي منسجمة معها تماماً ؛ لأن الحكايات ليست مقصودة بذاتها ، وإنما المقصود هو تلك الحقائق التي تنتهي إليها والتي تدل عليها عن طريق الكناية(6) .

---

(1) بديع الزمان : الكلمات . ص : 6 .

(2) المصدر السابق . ص 9 .

(3) المصدر السابق . ص 11 .

(4) انظر : بديع الزمان : المكتوبات . ص 487 .

(5) بديع الزمان : المكتوبات . ص 487 .

(6) انظر بديع الزمان : الكلمات . ص 47 .

وإذا كان بديع الزمان قد تفوق في استخدامه التشبيه والتمثيل ، فإن هذا يكشف لنا أيضا عن جوانب مهمة من شخصيته ، حيث ظهر تأثيرها في تمثيلاته وتشبيهاته ؛ فهو مولع بإيراد تمثيلات من ميدان الجندية والقتال ، ولا غرابة في ذلك ، فالنورسي عاش شبابه جنديا وقائدا عسكريا ، شارك في معارك كثيرة إلى أن وقع في الأسر أثناء الحرب العالمية الأولى ؛ لذا فقد ظهر أثر هذا التكوين وانعكست آثار هذه التجربة على تشبيهاته يقول –مثلا– في الكلمة الثالثة : « . . . فانظر إلى هذه الحكاية التمثيلية وانصت إليها : تسلم جنديان اثنان – ذات يوم – أمراً بالذهاب إلى مدينة بعيدة ، فسافرا معا إلى أن وصلا إلى مفترق طرق . . .»[1] .

والكلمة الخامسة : « . . . فتأمل في هذه الحكاية التمثيلية القصيرة واستمع إليها : كان في الحرب العالمية الأولى ، في أحد الأفواج جنديان اثنان : أحدهما مدرب على مهمته مجد في واجبه ، والآخر جاهل بوظيفته ، متبع هواه . . . »[2] .

وتمثيلات النورسي لا تكشف لنا عن خبرته العسكرية فحسب ، وإنما تدلنا أيضا على طول باعه في العلوم الطبيعية[3] ، وإلمامه بكثير من مجالات المعرفة .

يحشد النورسي عدداً كبيراً من الأدلة للبرهنة على قضايا الإيمان ، ولا سيما التوحيد ، فهو لا يكتفي – في الغالب – بدليل واحد أو نوع واحد ، وإنما يمزج بين أنواع مختلفة من الأدلة مزجاً يبدد شبهات المنكرين ، ويزيل شكوك المترددين .

فلإثبات وجود الله تعالى مثلا – وهى أولى قضايا الإيمان – يبدأ أولا بهدم ادعاءات المنكرين ؛ فيبين أن الإلحاد ليس مبنيا على علم يقيني ، بل ليس مبنيا على علم تخميني ؛ لأنه يعتمد "النفي" الذي يستند إلى مجموعة من النظريات المتفرقة الخاصة ، أما الإيمان فيعتمد على "الإثبات" الذي كلما تعدد مثبتوه ، كانت النتيجة أقوى ؛ لأنهم يتساندون جميعا ، ثم إن النفي لا يمكن إثباته ؛ لأنه يلزم أن تكون الرؤية محيطة وشاملة لما في الكائنات ، ولأرجاء الدنيا والآخرة كافة ، وشهود الزمان الذي لا يحد بآفاقه وأطرافه جميعا حتى يثبت مثل هذا النفي[4] .

بعد هذا التوضيح الذي يقدمه النورسي لإثبات أولى قضايا العقيدة ، يحشد

---

(1) المصدر السابق . ص : 12 .

(2) المصدر السابق . ص : 18 .

(3) انظر مثلاً : بديع الزمان : الشعاعات . ص 257 . 261 ، وغيرها .

(4) انظر : محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث – ص 112 .

أدلة متنوعة معززة بأمثلة مناسبة لكل نوع[1] :

– الدليل العلمي : وقد عرضه لمجموعة من الطلاب الذين جاءوا لسؤاله ، فقالوا : «عرفنا بخالقنا ، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا» .

فأجابهم : «إن كل علم من العلوم التي تقرؤونها يبحث عن الله ، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته الخاصة ، فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين . . .

فمثلا : لو كانت هناك صيدلية ضخمة ، في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية ، وضعت فيها بموازين حساسة ، وبمقادير دقيقة ، فكما أنها ترينا أن وراءها صيدليا حكيما وكيميائيا ماهرا ، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء – نباتا وحيوانا – وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيمياوية دقيقة ، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة ، فهذه الصيدلية الكبرى تري حتى للعميان صيدليّها الحكيم ذا الجلال ، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها ، وانتظامها وعظمتها قياسا على تلك الصيدلية التي في السوق على وفق مقاييس علم الطب الذي تقرؤونه . . . »[2] .

ويستمر بديع الزمان في الحديث عن مظاهر أخرى في عالم الأنفس والآفاق من خلال ثمرات علوم متنوعة ، لإثبات هذه الحقيقة الكبرى ، ثم ينتقل إلى أنواع أخرى من الأدلة المدعمة بالأمثلة فيعرض : دليل الحدوث[3] ، ودليل الضرورة الكونية[4] ، ودليل الحياة[5] ، ودليل الإمكان[6] ، ودليل العناية والغاية[7] ، ودليل الاختراع[8] ، ودليل الوجدان الحي[9] ، ودليل الاستقراء الاستقراء الكوني ، ودليل الإجماع[10] ، . . . كل هذه الأدلة من أجل إثبات حقيقة وجوده تعالى ، وهي حقيقة جديرة بمثل هذا الاهتمام ؛ إذ إن البراهين التي تدعم قضايا العقيدة ينبغي أن تتناسب في قوتها مع قوة التيار المعادي لها ، كي تستطيع أن تزيل الريب وتبدد الشبهات .

---

(1) انظر : المرجع السابق – ص 113 وما بعدها .
(2) بديع الزمان : الشعاعات . ص : 257 .
(3) انظر المصدر السابق . ص : 182 .
(4) انظر : الكلمات . ص : 60 . 62 ، و 331 .
(5) انظر : المصدر السابق . ص : 117 . 118 .
(6) انظر : الشعاعات . ص : 183 .
(7) انظر : المثنوي العربي النوري . ص : 428 .
(8) انظر : المصدر السابق . ص : 424 .
(9) انظر : المصدر السابق . ص : 430 . 431 .
(10) انظر : الشعاعات . ص : 155 ، و 166 .

ثم إن النورسي لا يقتصر على إيراد الأدلة العقلية والوجدانية لإثبات وجود الله تعالى ، «بل إنه بعد بناء الأساس المنطقي للإيمان ، يحاول أن يبين أثره العظيم في التوجيه والتربية ، وضبط الحياة ؛ ففي رسائل كثيرة يحاول أن يثبت بأمثلة عملية كثيرة أن الكفر يقطع الإنسان عن الكون وخالقه ، وأن الإيمان يوصل أسباب الإنسان بأسباب الكون ، فيعيش كل جزء في وحدة خلق ، خالقها هو الله الرحمن الرحيم»(1) .

يلاحظ القارئ للرسائل وجود تكرار لعدد من القضايا ؛ مثال ذلك : قضية التوحيد ، والتصوف ، والاجتهاد ، وغيرها ... فموضوع الاجتهاد يتناوله النورسي في كتاب "المثنوي العربي النوري"(2) ، وفي الرسالة السابعة والعشرين من "الكلمات"(3) بالعناصر نفسها ، لكن لم يستوعب الموضوع إلا صفحتين في الأول في حين استوعب في الثانية إحدى وعشرين صفحة .

ويعلل النورسي هذا التكرار بطبيعة الرسائل التي هي تفسير للقرآن الكريم : «إن رسائل النورسي تفسير للقرآن الكريم ، تفسير نابع من القرآن مدعم بالبراهين ؛ لذا فإن فيها تكرارات ضرورية مساقة لحكمة ومصلحة كالتكرارات القرآنية اللطيفة ، الحكيمة الضرورية ، والتي لا تسئم القارئ أبداً ، وكذا لأن رسائل النور هي دلائل كلمة التوحيد التي تكرر باستمرار على الألسنة في ذوق وشوق دون سأم ، فإن تكراراتها الضرورية لا تعد نقصا فيها ، ولا تضجر القارئ ، ولا ينبغي لها أن تضجر»(4) .

إن المسلك الذوقي الذي سلكه النورسي في كتابة رسائله ، هو الذي يفسر ظهور التكرار فيها ، ولاسيما إذا عُلم أنه لم يكن يستنسخ بنفسه ما يؤلفه ، وإنما كان يمليه على طلابه ، كما أنه لم يكن يرجع إلى المصادر والمراجع غير القرآن الكريم .

ظهر شئ من الغموض وعدم التناسق في بعض الرسائل(5) ، فعاق فهمها على الوجه الأمثل ، والنورسي نفسه ينبه على هذا القصور ، ويقدم له ما يبرره ، فيبين الظروف التي كتب أثناءها تلك الرسائل ، يقول : مثلا – في مقدمة المسألة العاشرة من رسالة الثمرة(6) : «إخواني الأعزاء الأوفياء :

كنت أعاني من حالة مضطربة بائسة حينما تناولت هذه المسألة ؛ لذا اكتنفها شئ من الغموض ، لكونها بقيت كما جاءت عفو الخاطر ... ولقد

---

(1) محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث . ص : 131 .
(2) ص : 182 .
(3) ص : 562 .
(4) الشعاعات . ص : 95 .
(5) انظر مثلاً : اللمعات . ص : 315 و 341 .
(6) الشعاعات . ص : 302 .

اضطررت إلى كتابتها في غاية الإجمال والاقتضاب ؛ لما كنت أكابد من سوء التغذية وأوجاع الأمراض ، حتى إنني أدرجت في جملة واحدة منها حقائق وحججا غزيرة ، وأتممتها – بفضل الله – في يومين من أيام شهر رمضان المبارك ، فأرجو المعذرة عما بدر مني من تقصير . . » .

ويعزو أحد[1] الباحثين بعض أسباب هذا الغموض الذي صاحب مؤلفات النورسي إلى روحه الشاعرية ؛ فبديع الزمان وإن لم ينظم شعراً ، فإن كثيراً مما ألفه هو شعر في جوهره ومعناه ، والعبرة بالجوهر والمعاني لا بالنظم والقوافي .

ويضيف هذا الباحث بأن للشعر لغةً خاصة ترقى به عن مستوى الدهماء ؛ لذا فهي لا تخلو أحياناً من الغموض ، لكنه يظل غموضاً مستساغاً ما بقي شفافاً ، يفتح الآفاق ويتجاوز عالم الشهادة إلى عالم الغيب عن طريق صفاء الروح المستتر بالوحي المستدل به .

ولذا ، فليس غريباً أن تأتي بعض نصوص النورسي يحيط بها بعض الغموض الذي لم ينكره هو نفسه ، بل بيّن بعض أسبابه الأخرى في رسالة الشيوخ مثلاً ، فذكر :

1 . أن الرسالة تخص أحداث حياته الشخصية ووقائعها ، فيصعب ترجمة الأحوال الوجدانية وتناولها بالكتابة .

2 . كانت الكتابة بعد صلاة الفجر ، فكان يشعر بتعب وإنهاك شديدين ، فضلا عن الإسراع في الكتابة .

3 . ضيق الوقت للقيام بالتصحيح ، وانشغال الناسخ بأمور أخرى .

4 . الاقتصار على التصحيحات والتعديلات العابرة دون التوغل في المعاني ، لشدة التعب بعد التأليف .

5 . كما ردّ صعوبة فهم بعض الرسائل إلى كونه كتب مشاهداته كما تراءت له وفق فهمه ولنفسه ، ولم يكتبها بمستوى الآخرين ، وإلى كون الموضوع نفسه ذا تشعبات ، ووفرة في الأدلة والبراهين[2] .

ولعل قراءة مثل هذه الرسائل التي يصرح فيها مؤلفها بما قد يكون وقع فيه من القصور والإبهام ، تقتضي من القارئ دقة تركيز وقوة انتباه للتنبيه على ما يحتمل من قصور أو تشويش في الأفكار ، لكن ما يشفع للنورسي هو أنه لا يكتفي بالاعتراف بالتقصير في بعض ما كتبه ، وإنما يطلب من طلابه تصحيح ما قد يكون أخطأ فيه :

«ولما كنت قد كتبت هذا المكتوب في غاية السرعة – بناء على سبب

---

(1) انظر : حسن الأمراني : شعرية النص في المثنوي العربي النوري . ص : 13 .

(2) انظر : الشعاعات . ص : 133 .

مهم – ؛ لذا فقد بقي على حاله ، ولم أراجع مسودته ، ولم أدخل عليها أي تعديل ، فلا جرم أنه سيكون فيه شيء من القصور والتشوش في بعض العبارات وفي طريقة العرض ، فأرجو من إخواني أن ينظروا إليه بعين الصفح والسماح ، ويصححوا – إن استطاعوا – ما بدر مني من خطأ ويدعوا لي بالمغفرة...»(1)

اختلف الباحثون كثيراً في تحديد مفهوم الحضارة تحديداً دقيقاً ، ولا غرابة في كثرة الاختلاف ؛ لأن الأمر لا يتعلق بمصطلح علمي يخضع في تعريفه إلى قوانين العلم الدقيقة ، وإنما هو مصطلح ذو ارتباط وثيق بالعلوم الإنسانية التي يصعب فيها الاتفاق على تعريفات جامعة مانعة ، ويسهل فيها الاختلاف في وجهات النظر ؛ لأن موضوعها هو الإنسان ، والسلوك الإنساني لا يسير وفق قوانين علمية ثابتة ، وإنما تتداخل عدة عوامل ومؤثرات في سيره وتوجيهه .

فمحاولة تفسير هذا السلوك متأثرة – ولاشك – بمدى معرفة هذه العوامل والمؤثرات ، وبمدى أخذها بعين الاعتبار في أي دراسة إنسانية .

وهذا ما ينطبق على مصطلح الحضارة ؛ إذ ظهرت في تعريفه اتجاهات مختلفة قد تقترب أو تتفق في بعض الجوانب ، لكن جوهرها قد يكون متبايناً أشد التباين .

ونظراً لصعوبة الإحاطة بهذه الاتجاهات كلها ، أحاول بيان أبرزها علماً أن لهذا الموضوع باحثيه وأساتذته المتخصصين .

حديث النورسي عن الحضارة – في حقيقته – حديث عن فلسفتها وجذورها ، فهو لا ينشغل كثيراً بمظاهرها ونتاجاتها ؛ لأنه يدرك أن أي حضارة إنما تقوم على فلسفة معينة وتصور محدد لوظيفة الإنسان في هذا الوجود وعلاقته بالكون وخالقه .

ولهذا يجد القارئ في أكثر من موضع أن النورسي يستخدم العناصر ذاتها في تحليله لقضايا الحضارة وقضايا الفلسفة وكأنْ لا فرق بين الحضارة والفلسفة(2) .

ولعل القارئ لفكر النورسي لا يجد عناءً في تحديد اتجاهه في موضوع الحضارة ، إذ يكاد يرى تطابقاً كاملاً بين ما يذهب إليه بديع الزمان في حديثه عن التصور العقدي ، تمهيداً لدراسة الحضارة وبين ما يذهب إليه أصحاب الاتجاه الثاني لاسيما ألبرت اشفيتسر(3) الذي أكد العلاقة بين الحضارة وبين

---

(1) الكلمات . ص : 833 .

(2) أنظر مثلا : «الكلمات» ص 141 وص 855 ، و«المكتوبات» . ص 607 .

(3) ألبرت اشفيتسر(1875 . 1965) : فيلسوف أخلاقي ألماني جمع بين عدة علوم ، كان مرشداً روحياً يدعو إلى حب الإنسانية قولاً وعملاً ومبدؤه الأساسي هو توقير الحياة . وكان لاهوتيا مؤرخاً للمسيحية والمسيح ، ومفسراً للأناجيل بروح نقدية ، كما كان طبيباً لم يستخدم طبه إلا في العناية بالفقراء في افريقيا الوسطى ، وموسيقياً باحثاً في تاريخها . نظراً لنزعته الإنسانية مُنح جائزة نوبل للسلام سنة(1952م) . انظر : عبد الرحمن بدوي في تقديمه لترجمة

نظرية الإنسان في الكون –وهي علاقة لا يعيرها أحد التفاتاً في رأيه – ، فقد خلص إلى أن كل تقدم إنساني متوقف على التقدم في نظريته في الكون : «إن العصر الذي نعيش فيه يعوزه إدراك أهمية الظفر بنظرية في الكون . . . وافتقارنا إلى حضارة حقيقية مرجعه إلى افتقارنا إلى نظرية في الكون ، وحينما يتهيأ لنا الوصول إلى نظرية قوية ثمينة في الكون نجد فيها اعتقاداً قوياً ثميناً ، هناك فقط يكون في وسعنا إيجاد حضارة جديدة»(1) .

وإذا كان فلاسفة الحضارة الغربيون قد تنبهوا إلى مكمن الداء في الحضارة وهو افتقارها إلى نظرية في الكون ، فإن النورسي – وانطلاقاً من وضوح رؤيته العقدية وأصالتها – يقدم لنا نظرية متكاملة في الكون ، حيث وظيفة الإنسان فيه محددة ، وعلاقته به واضحة ، وتصوره لقضية الألوهية لا غبش فيه .

الحضارة الاسلامية:

1– فإن نقطة استنادها : الحق بدلاً من القوة ، والحق من شأنه العدالة والتوازن ، ومن هذا ينشأ السلام .

2– هدفها : الفضيلة بدل المنفعة ، والفضيلة من شأنها : المودة والتجاذب ، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة .

3– دستورها في الحياة : التعاون بدل الجدال والصراع ، وشأن هذا الدستور : الاتحاد والترابط اللذان تحيى بهما الجماعات .

4– خدمتها للمجتمع : بالهدى بدل الأهواء ، وشأن الهدى الارتقاء بالإنسان إلى مراقي التكريم والكمال .

5– رابطتها بين الجماعات البشرية : هي رابطة الدين والإيمان ومن شأن هذه الرابطة : الأخوة الخالصة بدل العنصرية والقومية السلبية .

بعد التحليل العلمي الدقيق لأسس الحضارة الإسلامية وفلسفتها وأسس المدنية الغربية وفلسفتها ، يؤكد النورسي أنه لا يذم أوربا على إطلاقها ، ولكنه يميز بين أوربا النافعة للبشرية بما قدمت لحياة الإنسان من خدمات ، وبما توصلت إليه من صناعات وعلوم(2) .

وبين أوروبا الثانية التي توهمت سيئات الحضارة حسنات ، فساقت البشرية

كتاب اشفيتسر : فلسفة الحضارة .

(1) ألبرت اشفيتسر : فلسفة الحضارة : ص 1 .

(2) إن بديع الزمان وإنْ كان يعترف بما للمدنية الغربية من محاسن ، فإنه لا ينسبها إلى قوم بعينهم ولا يحصرها في زمان محدد ، وإنما يعدها ملكاً للجميع ، لأنها نتاج البشرية كلها ، وحصيلة أفكارها المتلاحقة ونتيجة حث الشرائع السماوية ولا سيما الشريعة المحمدية(انظر : الكلمات – ص858) .

إلى السفاهة والضلالة ، فإلى هذه يتوجه بالخطاب : «يا أوروبا الثانية ! اعلمي جيداً أنك أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة ، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة ، ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما . ألا شُلّت يداك وبئست الهدية هديتك ، ولتكن وبالا عليك وستكون»(1) .

إن أوروبا التي ينعي عليها النورسي ويحذر منها بشدة هي أوربا التي ابتعدت عن النصرانية واتبعت الفلسفة المادية القائمة على نسبة آثار الخالق إلى الأسباب والطبيعة الموهومة ، فهوت بالإنسان إلى درجة أدنى من درجة الحيوان ؛ لأنها اضطرته أن يصارع وحده مالا يُعد ولا يحصى من الأعداء ، وألجأته إلى أن يحصل بنفسه على مالا يحد من الحاجات ، مع أن هذه الحاجات لم تكن في الأساس ضرورية ، وإنما بإلحاح المدنية الزائفة استحالت الكماليات أساسيات ، فأضحى الإنسان أسير متطلبات هذه المدنية بما غرست فيه من روح الاستهلاك ، والسعي وراء إشباع أكبر قدر من رغبات النفس .

وبهذا تحول إنسان مدنية الغرب – كما يوضح النورسي :

– (فرعونا) طاغية ، ولكنه فرعون ذليل يعبد أخس الأشياء ، ويتخذ كل شئ ينتفع منه ربّاً له .

–و (متمرداً) لكنه متمرد مسكين ؛ لأنه يرضى بالذل والهوان من أجل منفعة خسيسة .

– و (جباراً) ، لكنه عاجز في ذاته ؛ لأنه لا يجد مرتكزاً في قلبه يستند إليه .

إن غاية ما يصبو إليه هو تلبية رغبات النفس ، وإشباع هواها بأي وسيلة وجدت لأنه لا يحب إلا نفسه ، وهو مستعد للتضحية بكل شئ في سبيلها . فقد أصبح يعيش حالة مرضية مستعصية لم تجد هذه المدنية لها علاجاً سوى الملاهي الجذابة التي تبلد الحسّ وتخدر الشعور مؤقتاً ، والكماليات المزخرفة التي تشغل الذهن وتغيّب الوعي .

أما إنسان حضارة الإسلام فهو :

– (عبد) ، ولكنه عبد عزيز لله ، لا يرضى بعبادة أعظم مخلوق .

– وهو (هيّن ليّن) ، ولكنه لا يتذلل لغير الله تعالى .

. وهو (فقير) ، ولكنه مستغن بما عند الله تعالى .

. وهو (ضعيف) ، ولكنه يستند إلى قوة سيده المطلقة .

ولأن هذا الإنسان مؤمن بأن ما يملكه من نفس ومال هو أمانة لديه ، فإنه يسعى جاهداً لتسليم الأمانة لصاحبها ؛ لذا فهو يشعر بغاية السعادة ما دام ملتزماً بما يأمره به ربه تعالى .

---

(1) بديع الزمان : اللمعات . ص 177 .

إن السعادة الكبرى – كما يخلص إليها النورسي – كامنة في اتباع حكمة القرآن الكريم ، والشقاء الحقيقي هو في اتباع المدنية الزائفة ؛ ولهذا يوجه تحذيره إلى أبناء الأمة الذين فتنوا بمظاهر مدنية الغرب قائلاً : «فيا أسفي! ويا ويل من ضل بطواغيت الأجانب وعلومهم المادية الطبيعية . ويا خسارة أولئك الذين يقلدونهم تقليداً أعمى ، ويتبعونهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع . فيا أبناء هذا الوطن لا تحاولوا تقليد الإفرنج! وهل بعد كل ما رأيتم من ظلم الأوربيين الشنيع وعداوتهم اللدودة تتبعونهم في سفاهتهم ، وتسيرون في ركاب أفكارهم الباطلة؟ . . . فأنتم بهذا تحكمون على أنفسكم وعلى إخوانكم بالإعدام الأبدي . . إنكم كلما اتبعتموهم في سفاهتم وضلالهم ازددتم كذباً وافتراء في دعوى الحمية والتضحية ؛ لأن هذا الاتباع استخفاف بأمتكم واستهزاء بملتكم ، هدانا وإياكم إلى الصراط المستقيم »[1]

(1) بديع الزمان النورسي : . اللمعات . ص 184 .

شارك النورسي في رؤيته للحضارة الغربية فلاسفة كثيرون شرقيون وغربيون أكدوا جميعاً عمق أزمتها وعدم قدرتها على الرقي بالإنسان ، وقد أجاد بعض الباحثين الغربيين في تصوير هذه الأزمة ، وبيان عللها ، فهي لا تلائم الإنسان ؛ لأنها أُنشئت دون معرفة بطبيعته الحقيقية ، يقول ألكسيس كاريل ؛ «يجب أن يكون الإنسان مقياساً لكل شئ ، ولكن الواقع هو عكس ذلك ، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه ، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ، لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته . . . ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية . . . فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لنا ، لأننا ننحط أخلاقياً وعقلياً . . . إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف ، ذلك أن مدنيتنا – مثل المدنيات التي سبقتها – أوجدت أحوالاً معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة»(1) .

لقد أكد كثير من فلاسفة الغرب أن حضارتهم يعوزها البعد الروحي ، وتفتقر إلى نظرية في الكون كما عبّر عن ذلك اشتفيتسر بقوله : «إن العصر الذي نعيش فيه يعوزه إدراك أهمية الظفر بنظرية في الكون»(2) . لكن فلاسفة الحضارة الغربيين(3) ، وإن كانوا قد أجادوا في تشخيص علة حضارتهم ، فإن أغلبهم ظل إما أسير البيئة الفكرية التي نشأ فيها ، أو أسير روح التعصب ضد الإسلام ، وهو ما حال دون توصلهم إلى البديل الحق .

---

(1) الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ص : 38 نقلاً عن كتاب : «أسس مفهوم الحضارة في الإسلام» ص71 .

(2) ألبرت اشفيتسر : فلسفة الحضارة : ص : 5 .

(3) لمزيد من الاطلاع على آرائهم يمكن الرجوع إلى مؤلفاتهم ، ولعل أهمها(فلسفة الحضارة) لألبرت اشفيتسر ، و(تدهور الحضارة الغربية) لأسولد اشبنغلر ، و(سقوط الحضارة) لكولن ولسن ، و(دراسة للتاريخ) لأرلوند توينبي ، و(الإسلام كبديل) لمراد هوفمان .

أرنولد توينبي الذي نقد الحضارة الغربية وبيَن أزمتها الروحية العميقة ، عجز عن وصف الدواء الناجع لها ، بل إن موقفه يتميز بتناقض واضح ؛ إذ في الوقت الذي ينعي على الحضارة الغربية انحلالها وعجزها عن إسعاد الإنسان ، وفي الوقت الذي يشيد بالحضارة الإسلامية وإنجازاتها ، فإن مفهومه للإسلام يظل غامضاً مشوشاً ، حيث يحصره في العبادة والشعائر – التي هي جزء من كل متكامل – وهو بذلك يحاكم الإسلام بتصوره للمسيحية ولغيرها من الأديان التي ليست منهج حياة ولا نظام مجتمع طبق أسلوباً للحكم السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والعسكري(1) .

إنه برغم نقد توينبي الشديد للحضارة الغربية لم يكن منصفاً المسلمين حيث دعاهم إلى اقتباس حضارة الغرب بمحاسنها ومساوئها ، وعندما وقف موقف المؤازر للحركة الكمالية في تركيا ، وعدّها مثلاً أعلى لنهضة الشرق وتقدمه(2) .

ولعلنا نجد تفسيراً لهذا التناقض في مواقف توينبي ، إذا علمنا أنه كان رجل سياسة يشارك في إدارة أمور الحكم ، فالراجح أن عمله السياسي أملى عليه هذا النهج في التفكير . لكن الأمر يبدو أكثر غرابة وتناقضاً مع ألبرت اشفيتسر ؛ فهذه الشخصية الإنسانية التي حملت هموم الإنسان في كل مكان وتزعمت العمل الخيري ، كيف يمكن أن نفهم موقفها من الإسلام وحضارته ؟ .

إن اشفيتسر من أبرز الفلاسفة الذين تفوقوا في تصوير أزمة الغرب حضارياً ولعله لا يختلف عن النورسي في هذا التصوير ، لكنه أخفق في تحديد العلاج ، على الرغم من اعترافه الصريح بما لحضارة الشرق من أسس ثابتة وبما لها من جاذبية قوية يقول في هذا الصدد : «إننا لا نشعر بما يبرر وجودنا تبريراً كاملاً أمام تلك النظريات الشرقية الغريبة ؛ لأن فيها شيئاً حافلاً بالنبل يخلب ألبابنا ، بل يسحرنا ، ومسحة النبالة إنما جاءت من هذه الواقعة ، وهي أن هذه المعتقدات تولدت عن سعي إلى إيجاد نظرية في الكون ومعنى

(1) انظر : أنور الجندي : الإسلام والحضارة . ص 202 وما بعدها .
(2) المرجع السابق . ص 209 .

للحياة . أما عندنا نحن ، فالغرائز والدوافع الفعالة تقوم مقام نظرية في الكون»(1) .

إنه على الرغم من وجود جماعة كبيرة من الباحثين الغربيين لم تهتد إلى البديل الحق ، فقد توصل نفر بعد بحث ودراسة إلى أن المعنى الذي يعطيه الإسلام للحياة هو الكفيل بإقامة الأسس الراسخة للحضارة .

فالمدنية الغربية كما يؤكد ليوبولد فايس (محمد أسد) : «قائمة على أساس المدنية الرومانية الوثنية ، وهي لم تأخذ من النصرانية التي اعتنقتها – لأسباب سياسية قاهرة – سوى الطلاء الخارجي فحسب . . . إن المدنية الأوربية لا تزال في واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة»(2) ويقدم تشبيهاً بليغاً مقتبساً من القرآن الكريم لحال الإنسان الغربي الذي لم يستطع أن يفيد أدبياً من المعرفة التي أمدته بها علومه بسبب افتقاره إلى التوجيه الديني الصادق ، فيورد قوله تعالى : {مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي استَوقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حَولَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبصِرُونَ} [البقرة : 17] .

وهذا أيضاً ما تؤكده الكاتبة الغربية المسلمة فريم جميلة في كتابها : «الإسلام في مواجهة الغرب» (**ISLAM VERSUS THE WEST**) . فتحذر الأقطار الإسلامية التي انخدعت بفلسفات الغرب المادية ، وتدعوها إلى الاحتفاظ بشخصيتها الإسلامية ، وتخلص إلى أن «التأكيد على الجانب الخلقي والروحي من الحياة هو الذي يشكل الحد الفاصل الرسمي بين الحضارتين : حضارة يوافق عليها الإسلام ويتحمل مسؤوليتها ويباركها ، وتتجلى فيها الشخصية والأصالة والاتباع ، وحضارة يتبرأ منها الإسلام ويخسر فيها المسلمون»(3) .

ومن هذا العرض الموجز لآراء بعض فلاسفة الحضارة يبدو أن النورسي كان مدركاً الإدراك الصحيح لأسس حضارة الإسلام وأسس حضارة الغرب ، التي فتن بها من تولوا السلطة في تركيا وفي غيرها من البلاد الإسلامية ، ولعله كان متيقناً من المصير المرعب الذي سيؤول إليه مجتمعه إن أصر حكامه على السير في ركاب الغرب من دون نقد أو تمييز بين ما هو نافع وما هو ضار ؛ لذا تكررت تحذيراته لأبناء الأمة الإسلامية من انجرافهم في حضارة محكوم عليها بالفناء بشهادة أصحابها .

---

(1) ألبرت اشفيتسر . فلسفة الحضارة . ص 80 .

(2) أنور الجندي : الإسلام والحضارة . ص 126 .

(3) أنور الجندى : الإسلام والحضارة . ص : 129 .

موازنة النورسي بين الأدب الإسلامي والأدب الغربي :

إذا كانت الفلسفة أو العقيدة هي قاعدة الارتكاز لكل حضارة ، فإن الأدب يُعدُّ – بكل موضوعية – الصورة الصادقة والمترجمة لروح الحضارة .

ونظراً للصلة الوثيقة بين الحضارة والأدب ، آثرت إدراج موقف النورسي من الأدب ضمن حديثي عن موقفه من الحضارة ، على الرغم من أن موضوع الأدب شاسع ومتشعب ، ويحتاج الباحث فيه أن يفرد له دراسة مستقلة ، ليس هذا البحث مجالها ، لذا سأعرض لأهم عناصره باختصار وتركيز شديدين .

إن النقد في أي مجال كان عملية تحتاج إلى إحاطة وتمكن ، فليس كل أديب قادراً على النقد لكونه أديباً ، بل إن الناقد لكي يصبح مؤهلاً فعلاً للنقد يشترط فيه أن يكون أديباً مطلعاً على ألوان شتى من الأدب ، ومتمكناً من أصول النقد ، وضوابطه ، فضلاً عن الموهبة الخاصة التي تدعوه إلى الاهتمام بالأدب .

والنورسي وإن لم يصرح بكونه أديباً ، فإن كثيراً مما كتبه وألفه كان أدباً ذا طابع خاص ، وهذا ما جعل أحد الباحثين يقول عنه : «النورسي نفس شاعرة . . وقلب مشتاق ، ووجدان رقيق مرهف . . . يملك كل صفات الشاعر العظيم ، إلا أنه لم يقل شعراً ، أعني أنه لم ينظم شعراً كما ينظم الشعراء ، ولكن ما قاله في المثنوي برغم أنه يحمل ميزات النثر ومقوماته شكلاً وقالباً ، فإنه شاعري الروح والنفس ، وجداني الانسياب ، رشيق في صوره وأخيلته ، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه»(1) .

وقد عالج النورسي عدة قضايا أدبية محاولاً تقديم رؤية لا تخلو من جدّة وإبداع «فكان الموسوعي الذي أسس بكثير من العمق والتجديد أعمدة الأدب الإيماني»(2) .

فالأدب كما يرى بديع الزمان ينبغي أن يسير في ظلال القرآن ؛ لذا نجد القرآن الكريم حاضراً فيما كتبه استشهاداً به وتفسيراً له واستلهاماً لمعانيه :

« . . . لأني أرى القرآن منبع كل الفيوض ، وما في آثاري من محاسن الحقائق ما هو إلا من فيض القرآن ، فلهذا لا يرضى قلبي أن يخلو أثر من

---

(1) أديب ابراهيم الدباغ ، في تقديمه لكتاب المثنوي العربي النوري . ص : 21 .

(2) حسن الأمراني : شعرية النص في المثنوي العربي النوري . خ . ص : 6 . بحث مقدم لأعمال المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان النورسي المنعقد باستانبول(1995/9/24ف) .

آثاري من ذكر نبذ من مزايا إعجاز القرآن»[1] .

علاقة الأديب بالمجتمع من القضايا المهمة التي أثارها النقاد ومازالوا ، فهل للأديب أن يوجه أدبه نحو الوفاء بقيم مجتمعه التي تدفع به إلى الأمام وتخدمه أو أن يوجهه نحو القيم الذاتية والفنية وما يطوى فيها من إتقان التصوير وروعة التعبير؟[2] .

يبرز اتجاهان في الإجابة عن هذا السؤال :

– اتجاه أول يرى أن الأدب تصور إنساني متوجه نحو القيم الذاتية والفنية فحسب .

– واتجاه آخر يرى أن الأدب إنما ينبغي أن يخدم قضايا المجتمع . فالأديب «لا يكتب أدبه لنفسه ، وإنما يكتبه لمجتمعه ، وكل ما يُقال عن فرديته المطلقة غير صحيح»[3] ؛ وذلك لسبب بسيط هو أن الأديب جزء من مجتمعه ، ومرتبط به روحياً وتاريخياً . لذا يصر أصحاب هذا الاتجاه على ضرورة التزام الأديب بقيم مجتمعه وخدمة قضاياه . ولا نجد كبير عناء في التعرف على موقف النورسي من هذه القضية ، فهو يحذر أصحاب الفكر والأدب من تسخير أقلامهم للمساس بقيم الإسلام تحت شعار حرية الفكر والتعبير : « . . . إن نشر ما لا يقبله جمهور المؤمنين في الجرائد العمومية من المستحدثات دعوة إلى الضلالة فناشرها داع إلى الضلالة ، فلا يُجاب بالضرب على فمه فقط بل يُعنف بالأخذ على يدهِ . .»[4] .

إن الأدب كما يرى النورسي أداة للإصلاح والتوجيه والإرشاد ، ولا ينبغي أن يوظف في أي اتجاه معادٍ لقيم المجتمع . ولعل هذا الهاجس الدعوي في تناوله لأي قضية من قضايا الفكر هو الذي يفسر لنا تجديده في بعض القضايا الأدبية التي ناقشها النقاد قديماً وحديثاً .

فقضية اللفظ والمعنى التي عالجها النقاد قديماً واختلفوا حولها كثيراً ، تناولها النورسي مؤكداً قوة العلاقة بين اللفظ والمعنى ، لكنه يقدم تشبيها جديداً لهذه العلاقة ، وهو تشبيه يخالف التشبيه المتداول الذي يجعل المعنى روحاً واللفظ جسداً ، فيقول : «إن الكلام لفظه ليس جسداً بل لباس له ، ومعناه ليس

---

(1) بديع الزمان النورسي : المثنوي العربي النوري . ص : 156 .

(2) انظر : شوقي ضيف : في النقد الأدبي . ص : 191 .

(3) المرجع السابق . وانظر أيضاً ص 192 منه .

(4) بديع الزمان : المثنوي العربي النوري . ص 180 .

روحاً بل بدن له ، وما حياته إلا نية المتكلم وحسه ، وما روحه إلا معنى منفوخ من طرف المتكلم»(1) .

وهذا التعبير يحمل إضافة وتعديلاً : فالإضافة تتمثل في تشبيه اللفظ باللباس بدلاً من الجسد ؛ لأن اللباس يبلى ويفنى ، أما الجسد – كما يرى النورسي ، فلا يفنى الفناء الحقيقي ، وإنما يفنى فناءً صورياً .

أما التعديل ، فيتمثل في تشبيه المعنى بالبدن بدلاً من الروح ، وأما الإضافة ، فهي جعل النية والحس سبباً في نفخ الروح في النص ، بمعنى إعطاء المعنى وجوده المعدوم قبل النية ، وهذا ما يسمى في النقد الحديث : (مقصدية النص) التي بدونها قد يفقد النص مراده ، وتشوه الرسالة التي تنتقل من المرسل إلى المرسل إليه ؛ فالنص – كما يؤكد النورسي – لا يكتسب وجوده ودلالته وفاعليته إلا بالمرسل والمتلقي والمقام والمقصد(2) .

ففي هذه القضية كما في غيرها من قضايا النقد الأدبي يظهر بجلاء هاجس الدعوة إلى الإسلام وهاجس الصراع مع الغرب وتابعيه الشرقيين ، الذين استُلبوا فكراً وثقافةً ، فراحوا يروجون لآداب المدنية الغربية من خلال مؤسسات تولت نشر ما أُطلق عليه «الأدب المكشوف» الذي يشيع الفساد والمجون والخلاعة بدعوى الفن والأدب(3) .

يلجأ النورسي إلى نقد الجوانب السلبية في المدنية الغربية من خلال عقد موازنات بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب ، وكما بيّن أسس الحضارتين وتباينهما وتفوق الحضارة الإسلامية المبنية على التصور القرآني للوجود ، يؤكد أيضاً تفوق الأدب الإسلامي المستلهم من القرآن الكريم على أدب الحضارة الغربية القائم على أساس تصورات بشرية قاصرة .

ولكي لا نسئ الفهم ينبغي أن نُبين هنا أن النورسي عندما يتحدث عن الأدب الإسلامي ، إنما يقصد به ذلك الأدب الملتزم بخدمة الإنسان بهداية القرآن الكريم ، كما أنه عندما يتحدث عن الأدب الغربي ، إنما يقصد ذلك الأدب المنحرف الذي ساد في الغرب وفي غيره من الأقطار ، ومنشأ الانحراف فيه انحراف في التصور الإنساني لمعنى الحياة .

---

(1) بديع الزمان النورسي : المثنوي العربي النوري . ص : 156 .
(2) حسن الأمراني : شعرية النص في المثنوي العربي النوري . خ . ص : 8 . 9 .
(3) انظر التمهيد من هذا البحث .

قبل أن يشرع في المقارنة بين الأدبين يحدد النورسي مجالات الأدب ، وهي ثلاثة لا غير :

1- مجال الحماسة والبطولة .

2- مجال الحسن والعشق .

3- مجال تصوير الحقيقة والواقع[1] .

ثم يؤكد بديع الزمان أن الأدب الأجنبي في مجال البطولة لا ينشد الحق ، بل يغرس شعور الافتتان بالقوة بتمجيده للظلم والطغيان . وهذا الحكم وإن كان يبدو فيه تعميمٌ لأول وهلة ، فإنه لا يجانب الصواب ؛ إذ إن النورسي كان يعيش واقعاً يحكمه الصراع بين الغرب الذي يريد أن يفرض سيطرته وقيمه على العالم وبين أجزاء من البلاد الشرقية التي مازالت فيها بقية من حياة .

ولقد كان لهذا الصراع – ولاشك – أدبه وفلسفته ، أدب يبرر السيطرة على الضعفاء ، ويصورها بطولة ونصراً ؛ فالاستعمار الغربي الذي بلغ مداه في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم يكن يتم إلا تحت شعارات مخالفة تماماً لطبيعة الاستعمار ؛ إذ كانت كل دولة غربية استعمارية تنتحل لنفسها أسمى الشعارات الإنسانية (التمدين ، والتحضير . . .) لتنفذ سياسة استغلالية واستعبادية ضد الشعوب المستعمرة .

وإدراك هذه الحقيقة هو الذي حمل النورسي . فيما أرى . على أن يحكم بمثل هذا الحكم القاطع على الأدب الغربي في ميدان الحماسة والبطولة .

أما في مجال الحسن والعشق ، فالأدب الغربي – كما يرى النورسي – لا يعرف العشق الحقيقي ؛ لأنه يقتصر على إثارة الشهوات في النفس .

وهذا الحكم أيضاً لا يبتعد عن الحقيقة ، ولاسيما إذا اطلعنا على الآداب الغربية التي انتشرت في زمن النورسي – ومازالت منتشرة – ، وفُتن بها من لم ينل حظاً من العلوم الإسلامية أو لم يُفد منها ، فهذه الآداب الخالية من كل أدب هي التي ينعي عليها بديع الزمان .

أما في مجال تصوير الحقيقة والواقع ، فالأدب الغربي لا ينظر إلى المخلوقات على أنها صنعة إلهية ، ولكنه يحصر نظره في الطبيعة وعلى ضوئها

---

(1) انظر : النورسي : الكلمات – ص 476-477 ، و 884-887 ؛ الملاحق : ـ ص 187-190 .

يحاول تصوير الحقائق ؛ فيصبح بذلك داعياً إلى عشق الطبيعة وتأليه المادة .

ثم إن هذا الأدب – كما يوضح النورسي – عاجز عن منح الروح الطمأنينة والسكينة ؛ لأنه ينشر الضلالة ، ولأنه بكل أشكاله الموجودة : الأدب الروائي ، أو السينمائي ، أو المسرحي أدب لا حياة فيه ، فلا يمكن للميت أن يهب الحياة لغيره .

وعلى الرغم من ادعائه ظاهراً أن «السفاهة عاقبتها وخيمة لا تليق بالإنسان» وبيانه لنتائجها المضرة ، فإنه يصور السفاهة تصويراً مثيراً جذاباً ، يفقد معه العقل كل سيطرة على شهوات النفس المستثارة .

وبذا يخلص النورسي إلى أن الأدب الغربي قد سلك مسلك الضلالة والانحلال الخلقي ، في حين أن الأدب المستظل بظلال القرآن ، لا يثير الهوى ، بل يحث الإنسان على نشدان الحق ومحبة الحسن المجرد والجمال الحقيقي ، ومحبة الحقيقة .

ويضيف بديع الزمان أن الأدب الإسلامي لا ينظر إلى الكون نظرة مادية ، بل يرى الكون كله صنعة إلهية ، وأثراً لرحمة الله تعالى ؛ وبذلك لا يغرر بالعقل ، وإنما يرشده إلى الطريق المستقيم ، ويلقنه معرفة الخالق ويدله إلى دلائل التوحيد .

وبهذا كان الفرق بين الأدبين شاسعاً وتأثيرهما متبايناً ، ويشبه النورسي هذا الفرق ببكاء يتيم مِلْؤُهُ الحزن القاتم واليأس المرير ، في مقابل عاشق عفيف حزين ملؤه الشوق والأمل .

فالأدبان يورثان حزناً مؤثراً ، لكن هذا التأثير متباين :

الأدب الغربي يورث حزناً مهموماً كئيباً – لانبعاثه من المدنية الضالة المعتقدة بالطبيعة– يسيطر على كيان الإنسان فيسوقه إلى الضلال والإلحاد .

أما الأدب المستلهم من القرآن الكريم ، فإنه يمنح حزناً سامياً نابعاً من فراق الأحباب لا من فقدهم .

والأدبان يمنحان شوقاً وفرحاً ، لكن تأثيرهما مختلف أيضاً : الشوق – في الأدب الغربي – يهيج النفس فحسب ، ولا يمنح الروح فرحاً وسروراً .

في حين أن الشوق الذي يمنحه الأدب القرآني هو شوق برئ يحث الروح والقلب والعقل على السير إلى المعالي لنيل الجنة التي بشر بها القرآن الكريم المؤمنين .

ومن خلال هذا العرض الموجز لموضوع الأدب – كما يتناوله النورسي –

أخلص إلى أن التصور الاعتقادي والهاجس الدعوي حاضران في تحليل هذا الموضوع كما هما حاضران في غيره من الموضوعات ؛ لذا فإن رؤيته لجملة القضايا التي تناولها مبنية على الأسس العقدية المفصلة في أغلب رسائل النور . وهذا يؤكد أن صراع النورسي ضد التيارات المعادية للإسلام كان صراعاً متعدد الجبهات ومتنوع المجالات ، داخل دائرة المنتسبين إلى الإسلام وخارجها ، وفي مجالات الفكر والأدب والعلوم ، كما في مجالات الدعوة .

ونظراً لأن الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كانا يواجهان تهديداً استعمارياً غربياً حثيثاً ، فإن بديع الزمان كان يحاول إصلاح الأوضاع الداخلية لمواجهة الأخطار الخارجية . ولعل أبرز عمل في مسيرة النورسي المبكرة للإصلاح دعوته لإنشاء جامعة إسلامية عالمية تحت اسم «جامعة الزهراء» ، وقد بيّن أهداف هذا المشروع كما يلي :

1- توحيد المدارس الدينية وإصلاحها .

2- إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت الناشئ عن الجهل ، والمتمثل في قسم من مقلدي أوروبا وملحديها .

3- فتح باب لنشر محاسن المشروطية .

4- إدراج العلوم الكونية الحديثة في منهاج المدارس الدينية .

5- تقليص الهوة بين المدارس الدينية والمدارس الحديثة وأهل الزوايا «التكايا» ، سعياً إلى توحيد المقصد وتوحيد الصف في المجتمع[1] .

دعا النورسي إلى مشروعه - بداية - في الصحف محاولاً إبراز فائدته[2] ، ثم توجه إلى مقر الخلافة لإقناع السلطان عبد الحميد الثاني بجدوى المشروع ، لكن انتقاده الصريح لنظام الحكم جعل السلطان يرد عليه بإحالته إلى مستشفى المجانين ، ثم إلى السجن .

وبعد خروجه من السجن واصل نشاطه بكتابته في مجلة «ولقان»

---

(1) انظر : بديع الزمان - صيقل الإسلام . ص : 430 .
(2) انظر : سهيل صابان . ص : 414 .

(volkan) الناطقة باسم الاتحاد المحمدي وغيرها من المجلات ، مركزاً على وجوب التمسك بالإسلام ، وضرورة قيام المسلمين بالجهاد لإعلاء كلمة الله ونشر الحق والعدل وتحقيق التعاون بين المسلمين[1] .

ولئن كان النورسي قد وجد نفسه في صف واحد مع الاتحاديين في المطالبة بالحرية السياسية وإصلاح نظام الحكم الاستبدادي ، فإنه حاول أن يربط هذه المفاهيم بضوابط الشريعة وآدابها ، كي لا تصبح ستاراً لاستبداد جديد[2] .

وأثناء التهديد الخارجي من قبل روسيا وغيرها من الدول المعادية للدولة العثمانية ، كان موقف النورسي صريحاً ، إذ قاد الفرق المتطوعة للدفاع عن الحدود أمام الزحف الروسي إلى أن وقع في الأسر .

وعقب خلاصه من الأسر ، استأنف النورسي نشاطه – وإن كان بدرجة أقل – بالعمل داخل دار الحكمة ، لكن خلال فترة وجيزة سقطت البلاد تحت الاحتلال الغربي ، وأصبحت استانبول عاصمة الخلافة في يد الاستعمار الانجليزي ، فكان لهذا الحدث أثره البالغ في النورسي ، لذا قام داعياً إلى مقاومة المحتل ، ونشر رسالته الشهيرة «الخطوات الست»[3] التي كشف فيها عن دسائس الاستعمار وحرّض على مقاومته ، يقول في هذا الصدد : «إن محبة الإسلام توجب عداءكم وخصومتكم . . . إن أشد العقول بلاهة عقل يرى إمكان التوفيق والتلاؤم بين أطماع (الانجليز) ومنافعهم وبين عزة الإسلام ومصلحته . . وإن أكثر القلوب حماقة قلب يظن إمكان الحياة تحت حمايتهم ، إذ يعلقون حياتنا بشرط محال في محال . . . »[4] .

وإذا كان بديع الزمان قد ابتهج باندحار الاستعمار الغربي وجلائه عن البلاد ، فإنه أصيب بإحباط شديد بسبب التوجه المعادي للإسلام الذي سار فيه مصطفى كمال أتاتورك وحكومته ، حيث أنكروا أصل الإيمان بوجود الله تعالى وجحدوا عالم الغيب ، واستبدلوا الشريعة الإسلامية بقوانين الغرب البشرية .

وأمام ضخامة موجة العداء للإسلام وسقوط كثير من الأقطار الإسلامية تحت السيطرة الأجنبية ، رأى النورسي عدم جدوى العمل السياسي في وسط

---

(1) المرجع السابق : ص 415 .
(2) انظر : بديع الزمان : صيقل الإسلام . ص 545 .
(3) انظر : بديع الزمان . صيقل الإسلام . ص : 545 .
(4) المصدر السابق . ص : 555 .

يحكمه الاستبداد بكل أشكاله ، ومع أنه حاول أن ينأى بنفسه بعيداً عن استانبول وأحداثها المتلاحقة ، فإنه لم يسلم من تبعات هذه الأحداث ، حيث لاحقته السلطة في خلوته سنة (1925م) واعتقلته بتهمة المشاركة في الثورة المسلحة على الحكومة الكمالية ومنذ ذلك الحين فرضت عليه السلطة قيوداً محكمة كادت تشل حركته تماماً ، فتوزعت حياته بعد ذلك وعلى مدى أكثر من ثلاثين سنة بين السجن أو الإقامة المحروسة .

وعلى الرغم من هذا الطوق المحكم الذي ضرب على النورسي ، فإنه استطاع كسره ، ونجح في تكوين جماعة من الطلاب انكبت على رسائل النور كتابةً وقراءةً ونشراً . وإذا كان بديع الزمان قد حصر اهتمامه في خدمة قضايا العقيدة ، وأكد في مناسبات كثيرة ابتعاده عن السياسة بعد أن خاض غمارها ردحاً من عمره فإنه لا يمكن الجزم بأن هذا الموقف كان ثابتاً ، كما لا يمكن عدُّه منهجاً مختاراً من لدن النورسي ، وإنما هو موقف أملته الظروف السياسية التي أضحى يعيشها .

وما يؤكد هذا القول ، عودة النورسي في آخر مراحل حياته إلى النشاط السياسي وإسهامه في إضعاف شوكة العلمانية بتأييده لحزب عدنان مندريس المنافس لحزب الشعب الكمالي .

إن منهج النورسي يبدو – ولاشك – ثابتاً من حيث الأهداف التي حددها لدعوته في كل الأطوار السياسية التي شهدها ، وهي أهداف واضحة يلخصها الأستاذ شكري أصلان(1) في نقطتين رئيسيتين :

1 . الدفاع عن القرآن وتعاليمه ، ودفع الشبهات عن العقيدة والدعوة إلى تبني الإسلام شريعة شاملة كاملة .

2 . توحيد الشعوب الإسلامية في إطار سياسي يضمن لها تحقيق مكانتها بين شعوب العالم .

هاتان النقطتان هما اللتان شكلتا حجر الأساس في البناء الفكري للنورسي ، وقد ظل ثابتاً عليهما برغم كل العقبات التي واجهته ، وبرغم التغييرات العميقة التي شهدها العالم الإسلامي حاول بديع الزمان في عهد

(1) شكرى أصلان : من مواليد 1947 بكردستان(محافظة أورفاURFA) . تعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحصل على الإجازة من مدرسة الشيخ خليل الماردينى الذي كان مفتياً بمحافظة «الرها» . انتسب إلى جماعة النور سنة 1967 وهو تاريخ حصوله على الإجازة . درّس في مدارس الجماعة حوالي ثماني عشرة سنة . له مؤلف في علم الصرف ، وهو الآن عضو هيئة الشورى بالجماعة وهو أب لثلاثة أطفال .

السلطان عبد الحميد وعهد الاتحاديين تحقيق أهدافه بخوض غمار السياسة واستعمال وسائل الإعلام المتاحة ، لكنه أمام الأحوال التي آل إليها العالم الإسلامي وضخامة موجة العداء للإسلام ، لجأ إلى أسلوب آخر يعتمد في الأساس على مراجعة الماضي ودراسة الحاضر ، لوضع لبنة في بناء المستقبل ، مستعيناً في ذلك بطول النفس وبُعد النظر والأمل في الجيل الجديد القادم ...

تأخر العالم الإسلامي :

يحلل النورسي واقع العالم الإسلامي ، مبيناً أن أسباب تأخره تكمن في الأمراض التالية(1) :

1 . اليأس الذي وجد أسباب الحياة في النفوس .
2 . انعدام الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية .
3 . حب العداوة .
4 . الجهل بالروابط السامية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .
5 . سريان الاستبداد ، مثل سريان الأمراض المعدية .
6 . حصر الهمة في المنفعة الشخصية .
7 . عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء .
8 . التعصب المقيت في غير محله ، سواء لدى عالم جاهل أو جاهل عالم .
9 . تقليد مساوئ المدنية الأوروبية .

ولمّا كان بديع الزمان يرى أن هذه هي أسباب تأخر العالم الإسلامي ، فإنه يعتقد أن أهمها إطلاقاً هو الاستبداد السياسي ، ويليه اختلاف الأفكار الذي هزّ أسس الأخلاق وفرّق الأمة ، يقول في ذلك : «إن من أهم أسباب تأخرنا في مضمار المدنية بعد الاستبداد هو تباين الأفكار واختلاف المشارب لدى منتسبي ثلاث شعب كبيرة : المدارس الحديثة ، والمدارس الدينية ، والتكايا»(2).

حاول النورسي إصلاح الأحوال التي آلت إليها الدولة العثمانية في آخر عهدها ، مستعيناً في ذلك بمشاركته في ميدان السياسة ، لكن بعد الانهيار الأخير للدولة وسيطرة كمال أتاتورك على السلطة ، لم يتسع المجال لبديع الزمان كي يشارك بأي شكل في خضم الحياة السياسية ، بل فُرض عليه من القيود ما كاد يشل حركته تماماً ؛ لذا رأى أن أنسب الوسائل لمواجهة هذه الظروف تكمن في تكوين جيل جديد تكويناً إسلامياً عقيدة وفكراً وسلوكاً ، كي يكون اللبنة الصالحة التي يقوم بها بناء الدولة الإسلامية المنشودة .

تلك هي الوسيلة التي اتبعها النورسي لخدمة هدفه الثابت بعد أن يئس

---

(1) انظر : بديع الزمان : صيقل الإسلام(الخطبة الشامية) . ص 471 و492 .
(2) المصدر السابق : ص : 472 .

من أبناء جيله الذين انجرف أغلبهم مع تيار الحضارة الغربية ، وبعد أن أصبح التغريب سياسة رسمية للدولة ، وهو يعبر عن هذا اليأس بقوله : «آليت على نفسي ألاّ أخاطبكم . . وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل ، أيا من اختفى خلف عصر شاهق لما بعد ثلاثمائة سنة يستمع إلى كلمات النور بصمت وسكون . . . إنني أتوجه بالخطاب إليكم . . إنني أتكلم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي – المسمى بالتاريخ – إلى ذرى مستقبلكم الرفيع . ما حيلتي ؟ لقد استعجلت وشاءت الأقدار أن آتي خضم الحياة في شتائها . . أما أنتم فطوبى لكم ، ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة . إن ما يزرع الآن ويستنبت من بذور النور ستتفتح أزاهير يانعة في أرضكم . . »(1) .

ولا يكتفي النورسي بإعلان يأسه من معاصريه ، بل إنه يصرح بضجره من المضايقات المتكررة التي يتعرض لها ، مبيناً أن عمله إنما هو لخدمة مَنْ سيأتي من الجيل القادم : «لم تنشغلون بنا وبرسائل النور دون داع أو سبب ؟ إني أبلغكم قطعاً بالآتي : إنني ورسائل النور لا نبارزكم ، بل لا نفكر فيكم ، ونعد ذلك خارج وظيفتنا ؛ لأن رسائل النور وطلابها الحقيقيين يؤدون خدمة جليلة للجيل المقبل الذي سيأتي بعد خمسين سنة ويسعون لإنقاذهم من ورطة جسيمة ، ويجدّون في إنقاذ هذه البلاد والأمة من خطر عظيم»(2) .

استطاع النورسي أن يكون مجموعة من الطلاب من خلال تعرفه عليهم في السجن ، أوفي الأماكن التي كان يرحل إليها ، وتظهر قوة شخصيته – ولا شك – في سرعة التأثير والإقناع ، إذ تمكن من تحويل كبار المجرمين في السجون إلى طلبة ورعين ومجدين في العمل لدعوة رسائل النور(3) ، حيث قاموا باستنساخ الرسائل وتوزيعها في كل أنحاء تركيا حتى إنه بلغ عدد النسخ سنة (1950) ستمائة ألف نسخة ، وأصبح الطلبة يعدّون بالآلاف(4) .

---

(1) بديع الزمان : صيقل الإسلام (المناظرات) . ص : 408 .
(2) بديع الزمان : الملاحق في فقه دعوة النور . ص : 233 .
(3) أورخان محمد على : النورسي رجل القدر . ص : 205 .
(4) أحمد نوري النعيمي : الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا . ص 96 .

ولم تحل المحاكمات المستمرة للنورسي وطلبته دون انتشار الرسائل ، بل أصبح عددها في ازدياد مطرد ، ولاسيما بعد حدوث تغييرات في النظام السياسي عقب الحرب العالمية الثانية ، إذ قررت المحكمة المكلفة بإعطاء رأيها في محتويات رسائل النور تبرئتها[1] ، وهو ما أصبح يعني إمكان طبعها وتداولها دون عراقيل ،وبعد رحلة الأفغاني الطويلة في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وجدت أفكاره مجالاً في مقر الخلافة على عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان أحوج إليها لمعالجة الأوضاع الداخلية ومجابهة التهديدات الخارجية ، إذ تبنى السلطان سياسة الجامعة الإسلامية لجمع المسلمين من حوله ، ولمقاومة الحركة الدستورية والمعارضة ، ولمقاومة الدول الاستعمارية[2] .

ويبدو تأثر بديع الزمان بالأفغاني في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية واضحاً من خلال ما يصرح به في قوله : «فأسلافي في هذه المسألة هم الشيخ جمال الدين الأفغاني ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، ومن العلماء الأعلام "على سعاوي" و"العالم تحسين" والشاعر "نامق كمال" الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي»[3] .

لقد خلص النورسي – بعد الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي – إلى أن دعوة إصلاح المجتمع لا يمكن أن تتم في مرحلة واحدة بَلهَ أن يقوم بها شخص بمفرده ، وأن هناك أولويات لابد من تحقيقها في مسيرة الإصلاح .

ـ أولها : العمل على ترسيخ قاعدة الإيمان التحقيقي ، وهي وظيفة لا تحتاج إلى القدرة المادية ، ولكنها تحتاج إلى القوة المعنوية المتمثلة في الإخلاص والوفاء وقوة العقيدة .

ثانيهما : تنفيذ الشريعة وتطبيق أحكامها ، وهي وظيفة تحتاج إلى قوة مادية عظيمة وسلطة ذات شأن .

ثالثها : خدمة الإسلام بإعلان الخلافة الإسلامية ، والاستناد إلى الوحدة الإسلامية ، وتحتاج هذه الوظيفة إلى سلطة عظيمة وقوة هائلة وملايين

---

(1) أورخان محمد علي . النورسي . ص : 265 .

(2) انظر : علي سلطان : تاريخ الدولة العثمانية . ص 348 .

(3) بديع الزمان : صيقل الإسلام(المحكمة العسكرية العرفية) . ص : 446 .

الفدائيين[1] .

لهذا ، فالنورسي لا يدعي القدرة على القيام بكل هذه الوظائف ، بل إنه أمام الهدم الشديد الذي أصاب كيان الدولة العثمانية – على ما به من ضعف – يعترف بأنه وطلابه ، إنما يمهدون الطريق لمن يأتي بعدهم ، فيكمل بقية الوظائف اللازمة لدعوة الإصلاح .

(1) انظر : بديع الزمان . الملاحق . ص : 195 .

خلاصة

لقد أراد النورسي أن يخاطب الناس ، ليريهم حقائق الإيمان ويحثهم على تجديد أمر دينهم ، ومن ثمّ يقحمهم في ميدان الصراع ضد التيارات الغربية المعادية للإسلام .

وسيراً على النهج التحليلي نفسه ، عقد النورسي موازنات بين الأدب الإسلامي والأدب الغربي الذي وجد رواجاً في البلاد الإسلامية ، فانتهى إلى أن الأدب الإسلامي فاق كثيراً الأدب الغربي المروّج له ؛ لأنه مستظل بظلال القرآن ، ومستلهم معانيه وتوجيهاته التي تسمو بالإنسان إلى مراقي التكريم ، في حين أن الأدب الغربي هو صورة من صور الحضارة الغربية القائمة على أسس مادية ، ومفاهيم وتصورات بشرية قاصرة .

كما تصدى النورسي لدعوة تتريك الدولة ، وتتريك الشعائر الإسلامية ، مبيناً أبعاد هذه الدعوة عقدياً واجتماعياً وسياسياً ، وداعياً إلى تعميم اللغة العربية ، لاعتقاده الراسخ أن اللغة العربية هي أوثق رابطة تربط بين المسلمين ، وهي ألزم وسيلة لفهم الدين وضروراته .

إن هذه الرؤية الواضحة التي عالج بها النورسي جل القضايا ، سواء في الفكر أم الدعوة ، مرجعها في الأساس إلى أصالة منطلقه ، فقد كان في قضايا الفكر منطلقاً من القرآن الكريم ، مستلهماً معانيه ، ومسترشداً بتعاليمه .

مصادر ومراجع

1 – أحمد خالد شكري

آراء النورسي في وجوه إعجاز القرآن الكريم – المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان – استانبول –1995/9/24م .

2 – حسن الأمراني

شعرية النص في المثنوي العربي النوري – المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان – استانبول – 1995/9/24م .

3 – زياد خليل محمد الدغامين

منهج بديع الزمان النورسي في بيان إعجاز القرآن الكريم – المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان .

4 – سهيل صابان

الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع الهجري – دراسة وتقويم – رسالة دكتوراه – جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض- 1415هـ/1994م .

5 – شكري أصلان

الإمام سعيد النورسي رائد الحركة الإسلامية في تركيا وأوضاع الدولة التركية – 1415هـ/1995م .

6 – الصديق عمر يعقوب

جمال الدين الأفغاني بين تجديد الفكر ودعوة الإصلاح – رسالة

ماجستير – كلية دار العلوم – القاهرة .

7 – عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي

إعجاز القرآن اللغوي في فكر النورسي – المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان . استانبول 1995/9/24م .

8 – عماد الدين خليل

الرسول ε في رسائل النور- المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان .

9- جمال الدين الكيلاني و زياد حمد الصميدعي

تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث ، المنظمة المغربية ، 2013

الدوريات:

1 – أحد أدباء الإنجليز

الحركة الطورانية الجديدة في تركيا - مجلة المقتطف - 425/49-431 .

2 – شكيب أرسلان

نظريتان متضادتان في تركيا - مجلة الزهراء - 38/4 (الربيعان 1346هـ) .

3 – عبد الكريم مشهداني

ثورة الشيخ سعيد في تركيا لإحياء الخلافة الإسلامية - مجلة الأمة _ عدد (12) ، السنة الأولى – ذي الحجة 1401هـ/أكتوبر 1981م .

4 – محب الدين الخطيب

أنقرة والدين الإسلامي - مجلة الفتح ، ع : 61 (2جمادى الأولى 1346هـ) .

5 – محمد شاكر

مقارنة بين زعيم وزعيمة - مجلة الفتح ، ع69 - (1346/5/9هـ) .

6 – يحيى الشريف

ثورة الأوجادين - مجلة العربي _ الكويت - ع 230 – سنة 1978م .